جامعة بيرزيت

صفحات من الذاكرة الفلسطينية

رقم ٢

تذكرات

أمين الخطيب

SPC
DS
126.6
.K53
A3
1992
.BZU

مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني

Digitized by Birzeit University Library

C.2
BZU
Acc. # 97402

جامعة بيرزيت

صفحات من الذاكرة الفلسطينية

رقم ٢

تذكرات
أمين الخطيب

مكتبة جامعة بيرزيت
050863
BIRZEIT UNIVERSITY LIBRARY
54077

اشراف
د. علي الجرباوي

تنفيذ
معاوية طهبوب

أيار ١٩٩٢

SPC
DS
126.6
.K53
A3
1992
BZU

Digitized by Birzeit University Library

تقديم

يعتبر مشروع "صفحات من الذاكرة الفلسطينية" احد المشاريع الرئيسية التي ينفذها مركز دراسات وتوثيق المجتمع الفلسطيني في جامعة بيرزيت. ويهدف هذا المشروع الى الاسهام بصورة فاعلة في عملية توثيق المرحلة الحديثة من التاريخ الفلسطيني اعتمادا على منهجية التاريخ الشفوي. وتقوم فكرة المشروع بالاساس على ان التاريخ لمرحلة معينة من تجربة خاصة، أكانت لفرد ام لمجتمع ام لقضية، يقوم في احد مناهجه المهمة على تجميع فسيفسائي لتذكرات وروايات من عايش الاحداث وخبرها ذاتيا، وربما كان له في تشكيلها اسهام او قراءة معينة او ايضاح. ومن فسيفساء المعلومات المجمعة يتوقع ان تتشكل صورة تاريخية متكاملة، او اقرب على الاقل للتكامل، من الاستناد الى الرواية الرسمية التي تحاول دائما التفرد واحتكار تفسير مسلسل الاحداث والمتغيرات بما يروق في ذلك الوقت لصاحب القرار. فالتاريخ صنعة كما عهدناها دائما، لا تخلو من امكانية التحيّز في محاباة السلطة والنفوذ، واصحاب السلطة والنفوذ، فتشدد رواياتها – خاصة الرسمية – على ذكر وابراز مجموعة من القضايا والوقائع، في حين تقوم من ناحية اخرى باهمال او اسقاط قضايا ووقائع اخرى. وبالطبع، يبقى ما يحكم الاختيار في نهاية المطاف مستندا الى الكوامن والدوافع المصلحية لمن يقوم بالعملية التاريخية.

في غياب سلطة وطنية فلسطينية، تعاقب على فلسطين سلطات خارجية، وغاب عنها السجل التاريخي النابع منها، حتى وان كان رسميا وانتقائيا. وعوضا عن التعامل مع جوانب النقص والسلبيات التي قد يتضمنها السجل التاريخي الرسمي، يجد دارس تاريخ الحقبة الفلسطينية الحديثة نفسه امام تسجيلات تاريخية رسمية لهذه الحقبة قامت بها سلطات خارجية تعاقبت الحكم على البلاد، وسجلت تاريخ حكمها كما ارادت له ان يبرز للعيان. وامام هذا الواقع انبرى العديد من الدارسين والباحثين الفلسطينيين في محاولات جادة لتفكيك ما كان احكم من سجلات تاريخية للحقبة الفلسطينية الحديثة، وادى الى تغييب العديد من الحقائق والوقائع، وذلك في مهمة لاعادة كتابة تاريخ فلسطين برؤية ووعي فلسطيني. وتحققت حتى الان في هذا المضمار انجازات ذات شأن.

ويأتي مشروع "صفحات من الذاكرة الفلسطينية" اسهاما متواضعا في الجهد الفلسطيني المتواصل لاعادة كتابة تاريخ فلسطين الحديث فلسطينيا. ويرمي هذا المشروع الى

Digitized by Birzeit University Library

تجميع روايات قد تسهم في احد مستوياتها التحليلية بسدّ فجوات وثغرات تفصيلية هامة لترميم الصورة التاريخية الشاملة للحقبة الفلسطينية الحديثة. وفي مستوى تحليلي آخر يمكن لهذه الروايات ان تشكل نافذة واسعة ينظر من خلالها الى صورة متكاملة تبين ملامح الحقبة المشار اليها، فتصبح بمجموعها مدخلا ملائما لاستخدام الدارسين والباحثين اثنا معملية تقويم تاريخ فلسطين الحديث.

يقوم المشروع اساسا على اجراء مقابلات مع اشخاص – كل على حدة – كان لهم دور في مجال من مجالات الحياة الفلسطينية العامة. وتشتمل المقابلات على تسجيل ما يتذكره الشخص ليس عن مراحل حياته المتعاقبة فحسب، وانما تداخلات هذه التذكرات عن السيرة الذاتية مع ما دار حولها من احداث وتطورات ترصد التغير الذي شهده المجتمع والبلاد من وجهة نظر الراوي أيضا. وبعد تسجيل المقابلات وصياغتها بلغة تستهدف الحفاظ على السلامة اللغوية من جهة، والاحتفاظ بنكهة المقابلة في منهج التاريخ الشفوي من جهة أخرى، يتم أخذ موافقة صاحبها النهائية عليها، ومن ثم تصدر في مطبوعة مذيلة بوثائق وصور منتقاه.

وبما أن المقصود أن يبقى هذا المشروع مستمرا، يجري ضمنه تسجيل تذكرات متوالية لأكبر عدد من الأشخاص ذوي الإسهام في مجال أو أكثر من مجالات الحياة الفلسطينية العامة، فإنه يسعى لتحقيق غايات محددة ثلاث. أولا، تجميع تذكرات ذاتية لأكبر عدد من الأشخاص، ولكن بمنهجية تحتفظ وتحاول إبراز الخصوصية الفردية لكل حالة شخصية. فلكل حالة خصوصيتها، في مجال الحياة، وفي الوقائع والتجارب والأحداث التي أثرت على سير الحياة، وفي المقدرة على التذكر وسرد مجرى الحياة. ولذا، فلكل حالة وجهة نظر مميزة وعبر يمكن ان تستخلص منها. ولذلك أثرنا نقل وقائع الروايات كما اراداها ورواها اصحابها، بأقل قدر من التدخل في المضمون سوى عند ملاحظة مغالاة واضحة، او اكتشاف فجوات او هفوات تاريخية مؤكدة. وعلى هذا الاساس، يفترض بالدارسين والباحثين التعامل مع كل حالة من هذه الذكرات على اساس انها رواية ذاتية جرى تقنينها، ولكن لم يتم تحقيقها. فهي مادة تبقى اولية، نعتقد بقيمتها واهميتها، ونقدمها لذلك للمهتمين ليقوموا بدورهم بمعالجتها، واستخلاص ما يجدون فيه غايتهم منها. ونحن على الاعتقاد بان كل واحدة من هذه التذكرات تضم عالما قائما بذاته، ويمكنها لذلك ان تشكل بذاتها ولذاتها وحدة كاملة.

وثانياً، إن توالي تجميع الروايات واصدار التذكرات سيؤدي بالضرورة الى تراكم مجموعات منها تتعلق بمجالات محدّدة، كالتعليم او الصحة على سبيل المثال، ومدن فلسطينية

Digitized by Birzeit University Library

معينة . وبدراسة التقاطعات والتباينات التي تمنحها التذكرات المختلفة من حقل معين او مدينة معينة يمكن الشروع بعملية تجميع لفسيفساء معلوماتية يمكنها في نهاية المطاف ان تشكل صورة جديدة اكثر تكاملا عن ذلك الحقل او تلك المدينة .

اما الغاية الثالثة فهي السعي للاسهام بتشكيل رؤية متكاملة عن تاريخ فلسطين الحديث . فكل رواية تسجّل ستشكل جزءاً اضافياً من هذا التاريخ ونحن يحدونا الامل بأن استمرار تسجيل التذكرات سيؤدي في نهاية المطاف الى تشكيل الصورة الاكثر تكاملا لتاريخنا الحديث ، خاصة لحقب منه خلت ويمكن ان يضيع بعض من جزئياتها ودقائقها ان هي بقيت مدفونة في صدور من عايشها واسهم في صناعة جزء من احداثها ووقائعها .

وقبل اختتام هذا التقديم يجب الاعتراف باننا قد نواجه بتساؤلات ، وربما بانتقادات ، حول الكيفية التي تم بموجبها انتقاء الرواة . ويجب ان نعترف بداية باننا كنا بالفعل انتقائيين ، مستهدفين الشروع من نقطة بداية غير محددة بصورة منهجية ، على ان يتشعب الاستمرار لاحقا في تنفيذ المشروع بناء على تقنين التوصيات التي تنطلقها من الرواة انفسهم ، ومن محتويات تذكراتهم ، ومن مجموع الدارسين والباحثين والمهتمين في مجالات الحياة الفلسطينية الحديثة .

قام بتصميم مشروع "صفحات من الذاكرة الفلسطينية" ويشرف على تنفيذه د. علي الجرباوي . يجري الدراسات لهذه السلسلة ويقوم باعدادها واصدارها فريق عمل من داخل المركز مؤلف من لبنى عبد الهادي ، بسام الكعبي ، وعبد الرحيم المدور ، اضافة الى مجموعة من الباحثين غير المتفرغين من خارج المركز . ويقينا ان هذا المشروع لم يكن ليخرج الى حيّز التنفيذ الا بعد اقتناع العديد من الاشخاص بجدواه واستعدادهم ليكونوا فاتحة الرواة . الى جميع هؤلاء نقدّم جزيل الشكر والعرفان .

Digitized by Birzeit University Library

التذكرات

Digitized by Birzeit University Library

حدثنا أمين الخطيب عن طفولته قائلا:

في اليوم السابع من شهر حزيران عام ١٩٢٦، ولدت في مسكن العائلة في حي باب الحديد بالقدس القديمة، وتحديدا في المدرسة الجوهرية، وقف عائلة الخطيب. ولدت لعائلة محافظة ومتدينة، وفي حي تراوحت حالة سكانه المادية بين المتوسط في الغالب، وحد الفقر كما كان الحال مع عائلات الجالية الإفريقية، وذلك على خلاف حال السكان خارج السور (سور البلدة القديمة) وسكان بعض أحياء البلدة القديمة، الذين كانوا ميسوري الحال. وكان من سكانه عائلة الشهابي والعفيفي والشعباني والموقت، وبعض عائلة نسيبة، بالإضافة الى حوالي ثلثي عائلة الخطيب.

تنتمي عائلتي المعروفة بآل الخطيب اليوم الى عائلة بني جماعة الكناني. وقد حضر أجدادنا الى القدس من مدينة حماة السورية في منتصف القرن السابع الهجري (منتصف القرن الرابع عشر الميلادي). كانت القدس حينئذ مركزا رئيسا للدراسات الدينية خاصة فيما يتعلق بالمذهب الشافعي لأهل السنة. وأول من استوطن من بني جماعة في القدس، الشيخ برهان الدين بن جماعة (٥٩٦ - ٦٧٥هـ)، الذي تولى العديد من أحفاده المقدسيين أعلى منصب للقضاء في الدولة، وهو منصب قاضي القضاة الشافعي للدولة المملوكية. كما برز من " آل جماعة " العديد من خطباء المسجد الأقصى المبارك، وهو منصب ذو ثقل ديني مميز، ومنهم بدر الدين محمد (٦٣٩ - ٧٣٣هـ) وبرهان الدين إبراهيم (٨٧٠ - ٩٤٨ هـ). واستمر" آل جماعة " في تولي خطابة الأقصى منفردين أو مشتركين مع آخرين من العائلات الأخرى طيلة فترة الحكم العثماني. ونتيجة ذلك لازمتهم كنية الخطيب، أي خطيب المسجد الأقصى، حتى أصبحوا يُدْعَوْنَ بها.

معظم سكان القدس في العشرينات والثلاثينات، اقاموا في البلدة القديمة منها. والعائلات التي استقرت في المدينة منذ فترة طويلة، سكنت ولا زال

Digitized by Birzeit University Library

العديد منها يقيم في بيوت وقفية - مدارس بالدرجة الاولى - إذ أن معظم اجدادهم كانوا من العلماء الذين دَرّسوا العلوم الدينية في الصخرة المشرفة، والمسجد الاقصى المبارك، وفي المدارس المحيطة بالحرم القدسي الشريف.

علاقات الجيرة في الحي كانت مبنية على الود والتفاهم، فقد كان السكان دائما معا في الأفراح والأتراح، ولطالما وقفوا الى جانب المنكوب منهم وساعدوه ولو بشيء بسيط، كل حسب استطاعته.فالجميع اعتبروا أنفسهم من فئة اجتماعية واحدة.

احترام الكبير كان من أولويات المعاملات في العائلة، ولا اذكر أخا لي وصل سن العشرين، ودَخّنَ أمام ابيه. الكبير اذا قال كلمته، تكون الفصل، فالقرار يعود له.من الكبار تعلمنا الدين والمحبة وضرورة تماسك العائلة، والنخوة في مساعدة الجار أو من يحتاجها.

والدي الشيخ محمد الخطيب، كان تاجر عطارة في سوق العطارين. كان بحبوحا مرحا يحب المزاح، وفي نفس الوقت متدينا يعتمر العمامة. لقب بالشيخ نور للصفات الحسنة التي كان يتمتع بها، وكما سمعت من الكبار عندما وعيت الدنيا وتفتحت عيناي على مشاكلها، انه كان شيخ السوق، يقصده كل من له مشكلة. وكما كنت اسمع، فما من احد قصده إلا ولبى له طلبه وأنصفه.

كان يعيش داخل أسوار القدس القديمة في تلك الفترة، يهود يمنيون وبخاريون، وكنا على علاقة جيدة معهم رغم مذبحة اليهود في الخليل عام ١٩٢٩. لم نر يهودا اميركيين أو بولونيين أو ....، كلهم كانوا يهودا محليين،حتى أننا دعوناهم يهوداً عرباً باعتبارهم يعيشون معنا منذ زمن بعيد. أبي كان على علاقة جيدة مع العديد من الحاخامين اليهود، وأذكر من أصدقائه الذين كانوا يزورونه دائما بعد صلاة العصر في دكانه، حاخام حارة اليهود وخوري طائفة اليونان، يلعبون طاولة النرد معا ويشربون القهوة التي كنت

Digitized by Birzeit University Library

اعدها لهم في الدكان. كنا نعيش بتفاهم تام، لا يوجد حقد أو كره بين العرب واليهود، لم ندرك معنى كلمة «صهيوني» لأننا لم نكن نسمعها. أذكر أن أولادهم كانوا يشاركوننا اللعب أحيانا.

في عام ١٩٢٩ أصاب المنطقة زلزال اضطّرنا لترك منزلنا لمدة قصيرة، بعدما تعرض لبعض التشققات. ذهبنا الى أرض القاعة (قرب موقع الكلية الإبراهيمية الحالي)، وكان هناك كرم زيتون. أصيبت عيناي بجراح نتيجة تعرضها لأغصان زيتون.

بعد مولدي بقليل، مرضت والدتي وجف حليبها، فتولى رضاعتي امرأتان؛ درية أبو صلب (أم خويس)، والحاجة لطيفة أبو صوي زوجة الحاج أحمد أبو صوي. أذكر عندما اصيبت عيناي بجراح في سن مبكرة، كيف قامت الحاجة لطيفة برعايتي، فقد كانت تصطحبني مرتين يوميا الى مستشفى العيون في البقعة، وكان لها فضلا كبيرا علي، ما نسيته ابدا، لأنها حافظت على سلامة عيناي.

كنت ارافق والدي في جلساته مع بقية رجالات الحي، وكثيرا ما كانت تجري هذه اللقاءات في ديوان العائلة في الطابق الأول من المدرسة الجوهرية. كنت استمع الى احاديثهم التي كانت تدور في الغالب حول الإحتلال الإنجليزي، الذي كان يشرف على كل امور حياتنا، وكيفية مقاومته. فوجود المرحوم الحاج امين الحسيني داخل البلدة القديمة، جعلها معقلا هاما ورئيسا لمقاومة الاحتلال الأنجليزي.

في أيام الشتاء، كانت "الكوانين"، سواء الشامية أو البلدية، الوسائل المتوفرة للتدفئة، وكان الفحم المادة الاساسية التي نستخدمها في مواجهة فصل البرد. في بعض الأحيان كنا نلجأ لقص "تنكة" من نصفها، ونفرش قعرها بـ"السكن" (مخلفات الفحم المشتعل)، ونضع فوق "السكن" قليلا من الحطب

Digitized by Birzeit University Library

وحجر الفحم وكمية بسيطة من الكاز؛ المادة البترولية الوحيدة التي عرفناها في ذلك الوقت، فلم يكن هناك سيارات أو عربات تستخدم البنزين أو السولار، ولم نعِ هذه الأمور جيدا إلا في أواخر الثلاثينات، عندما بدأت السيارات والباصات تسير في شوارع المدينة.

مع بداية انتشار الكهرباء في أوائل الثلاثينات، اشترى والدي مذياعا، كان أهل الحي يتجمعون في بيتنا لسماعه، علما بأن الكهرباء لم تتوفر إلا عند البعض، حتى أن المياه في ذلك الوقت كنا نستسقيها من آبار الحرم القدسي الشريف.

في البداية، تزوج والدي فتاة من عائلة الفتياني، لكنها لم تنجب له أطفالا. في تلك الفترة كان يعتني بأولاد وبنات أختيه اللتين اقامتا عنده بعد أن ترملتا. وعندما رأت زوجته مدى اهتمامه بأبناء وبنات أختيه، طلبت منه أن يتزوج بأخرى تنجب له اطفالا. وفعلا سعت لذلك، وكانت النتيجة أن تزوج إبنة عمه (والدتي)، التي انجبت له روحي وأمين وعادل ويوسف وإكرام وفاطمة وأمين - أمين الاول توفي صغيرا - وعمر وعفاف. زوجته الأولى أقامت معه حتى مولد طفله الثاني حيث طلبت منه الطلاق، إلا أن والدي استأجر لها بيتا في البلدة القديمة، وأمّن فيه كل احتياجاتها. في هذا البيت انتقلت الى الرفيق الاعلى، وكنت اشرف على حالتها الصحية حتى وفاتها.

والدتي كانت عاطفية جدا. والدها توفي باكرا، وقُتِلَ أخٌ لها في حادث إطلاق نار خطأ عندما كان مع مجموعة من أصدقائه في نزهة الى عين كارم، حيث قام أحدهم - وهو من عائلة المحتسب - باطلاق نار غير متعمد. وحزنت والدتي عليه كثيرا.

جدتي لأمي كانت تقية جدا، لطيفة و"حبوبة"، راعت مشاعر الصغار قبل الكبار. جدي لوالدتي ترك لها بعض المال، استثمرناه فيما بعد في فتح متجر

Digitized by Birzeit University Library

لأخي يوسف، وفي تعليمي الجامعي، فوالدي كان منهمكا بتوفير احتياجات عائلته الكبيرة، التي زاد عدد أفرادها بانضمام اختيه وأولادهما اليها بعد أن ترملتا. عمتي "أمونة" كانت متزوجة من الشيخ القاضي عبد الرزاق أبو السعود، أنجبت حمدي وتوفي زوجها وهي حامل بعزمي، الذي ولد في بيتنا. رعاهما والدي مع ابناء عمتي الثانية، وأشرف على تعليمهما. كبرا واشتغلا مدرسين ثم تزوجا خلال إقامتهما في بيتنا، ولم يغادرانا إلا بعد أن بنيا منزلا بالإشتراك مع ابن عمهما فؤاد أبو السعود. وتولى والدي امور زوجة ابن عم له وأولادها، بعد وفاته. بذلك كان أبي متوليا أمور عشرين انسانا على الاقل، يطعمهم ويسقيهم، معتمدا على دخل محله الصغير في سوق العطارين. لذلك لم يكن امامه مجالا لادخار المال ليشتري به أرضا. توفي وهولا يملك إلا القليل، ولكنه "ربى شباب"، وترك لنا المحبة التي مازالت تجمعنا حتى الآن.

أبي كان إماما لجامع في خان السلطان قرب سوق العطارين. كان عندما يترك المحل للصلاة ولا أحد من أولاده يحل محله، يكتفي بوضع لوح من الخشب على مدخل الدكان مشيرا بذلك الى أن المحل مغلق، ولا أذكر حادثة سُرِق فيها المحل.

تعلمت كثيرا من سلوكيات أمي وأبي، وأذكر حادثتين كان لهما وقعا كبيرا في نفسي، وتركتا انطباعا واضحا في حياتي. في اضراب عام ١٩٣٦ الشهير، أذكر أن عمتي كانت تخبز في الديوان تحت منزلنا؛ أمي كانت تجلس قرب النافذة في الطابق العلوي، سَمِعَت أحد اولاد جيراننا الأفارقة يقول لأمه: أشم رائحة الخبز في بيت جدي " أبو روحي". وعندما أحضر أخي الصغير عمر "طبق العيش" المملوء بالخبز الطازج الى الطابق العلوي، قالت له أمي: يا عمر، احمل "طبق العيش" هذا وأعطه لجيراننا، وسنخبز مرة أخرى. هذه الحادثة تركت انطباعا لدي، بأنه يجب مساعدة الفقير في جميع الاحوال، حتى لو اضطررت أن أقاسمه طعامي.

Digitized by Birzeit University Library

في حادثة أخرى، كان يوم جمعة أو أحد - لا أدري على وجه الدقة - المهم أنه كان يوم عطلة أسبوعية للمدارس، وكنت في العاشرة من عمري - ذهب أبي إلى دكانه في سوق العطارين باكرا كالعادة. ارتديت ملابسي، وكانت عبارة عن "دشداشة" أو "فستانا" كما كنا ندعوها، ثم لحقته بعد ساعة، أي حوالي الثامنة صباحا. عندما وصلت إلى المحل، ذهب هو ليشتري "حاجة" البيت من سوق البازار الذي كان عامرا بأصناف الخضروات والفواكه المختلفة. وكان هناك شيء من الاختصاص في الأسواق، فسوق العطارين للعطارين، واللحامين للحامين، والبازار للخضروات، أما سوق باب خان الزيت، فشيئا من البقالة وتجارة اللحوم وقليلا من الخضروات. عندما عاد أبي، تزامن دخوله المحل مع دخول امرأة قروية بادرت الحديث قائلة: يا عمي الشيخ نور ، أريد "مرسة نمرة ٣" ..أي حبلا، استدرت لأحضر طلبها، لكن ابي استوقفني وقال: لا يا بني، لايوجد عندنا "مراس". نظرت اليه باستغراب، وقبل أن أنطق بحرف واحد، أشار الي طالبا مني الصمت، ثم وجّه كلامه للمرأة وقال: عند ذلك الرجل الذي يجلس على مقعد أمام محله طلبك، فلديه "مرسة" جيدة وجديدة، اذهبي اليه واحصلي على طلبك. وبعدما غادرت المحل، سألت أبي عن سبب قيامه بذلك، فما طلبته المرأة متوفر في المحل. أجابني: يا بني أنا "استفتحت" وشريت لكم حاجة البيت، لكن ذلك التاجر في آخر السوق لم "يستفتح" ولديه عائلة يعيلها، "خليه يستفتح ويشتري لعيلته الحاجة". وكان في ذلك الوقت (شلن) أو ٥٠ ملا فلسطينيا يكفي لشراء حاجة عائلة من المأكولات. هذه الحادثة أيضا تركت لدي انطباعا بأن اهتمام الانسان بأخيه الانسان يجب أن يكون على رأس سلم أولوياته.

وعلى صعيد العلاقات في البيت، لم يُقَصّر والداي في تعليمنا المثل العليا، فوجود أولاد وبنات عماتي عندنا، وسلوك أبي مع الجميع بما يمليه عليه ضميره من العدالة والإنصاف، رسّخ في طباعنا كل ما سمعناه ورأيناه من خصال حميدة. وأمي كذلك كان سلوكها مع كل القاطنين في منزل الشيخ محمد الخطيب يمتاز بالعدالة والإنصاف. أذكر كيف كانت تشتري الحلويات وخصوصا

Digitized by Birzeit University Library

التفاح السكري، بالمال الذي اكتسبته من وقف عائلتها، وتوزعها على جميع أطفال البيت دون استثناء.

في حي باب الحديد نشأت وترعرعت، أمضيت معظم طفولتي في باحات الحرم القدسي الشريف، فبيتنا ملاصق لحائطه الغربي. كانت تغمرنا السعادة، نلعب بالكرات و"الجلال" و"الفرارات" وغيرها من الالعاب التي كنا نصنعها بأنفسنا من القماش وأغصان الشجر. الاولاد في حارتنا والحارات المجاورة كانوا يتجمعون في مجموعات، تحاول كل واحدة أن تثبت أنها الاقوى، وكان لكل مجموعة نشيدها الخاص، حتى انني أذكر عبارة دائما كنا نرددها في حيّنا "احنا الحدايدة المناح اللي مشكشكين بالسلاح"، وهذا السلاح كان عبارة عن صحون زينكو، مثقوبة ومربوطة بحبل على الرأس، سيوف تنك. اما أكثر الاسلحة فعالية فكان النقيفة (الشعبة) والمقلاع. تبارينا بكرة القدم ايضا، والكرة كانت عبارة عن قطع قماش ملفوفة ومضغوطة على شكل كرة، وفي أحسن الأحوال كنا نحظى بكرة بلاستيكية بسيطة. وكذلك لهونا بكرات صغيرة كنا ندعوها بـ"الطابة أم سبع جلود". لم تتوفر الأحذية الرياضية، كنا ننتعل أحذية جلدية من صنع محلي، وفي الشتاء ننتعل "الجزمات" ..سوداء وحمراء. لم نعرف المعاطف الشتوية، أذكر السترة المدرسية الحمراء والسروال القصير (تحت الركبة)، وقد صاحباني لمدة سبع سنين من طفولتي حتى في أيام البرد القارص. القميص الذي كنا نرتديه للمدرسة كان طويلا، كنا نضعه داخل السروال عندما ندخل المدرسة، ونحرره من جديد عندما نتركها. حقائبنا المدرسية كانت جلدية بدائية بسيطة، نضع بداخلها بالإضافة الى الكتب،"العصرونة"، وهي عبارة عن كعكة نشتريها من أحد أفران البلدة القديمة و"فلافلة" أو قطعة من الجبن وقليل من الزعتر؛ أما المشروبات الخفيفة التي كنا ندعوها "كازوز" فلا يشتريها إلا ميسوري الحال. مصروفي

Digitized by Birzeit University Library

اليومي كان نصف قرش فلسطيني، أعود منه بمل أو اثنين.

وعن الإنتظام في صفوف المدرسة يقول:

التحقت بالمدرسة البكرية في السادسة من عمري، وكانت في موقع جمعية الشبان المسيحية (Y.M.C.A) الآن. كان مديرها الامير يحيي الشهابي، ومن معلميها المرحوم طاهر ولي الدين الخطيب (خالي). كنت اقضي معظم أوقات دراستي تحت أضواء الحرم القدسي الشريف.

الدوام في المدرسة البكرية كان على مرحلتين صباحية ومسائية، بالقرب منا تحديدا في موقع مدرسة شميدت حاليا، كان يوجد مركز للشرطة أو الجيش الإنجليزي. حراسه كانوا يرتدون "التنانير" الأسكتلاندية التقليدية. كنا "نتراهن" فيما إذا كان هذا الحارس يرتدي ملابسا داخلية، وحتى نتبين ذلك كنا نفتعل شجارا بالقرب منه، وأثناء انشغاله بالحدث يقوم احدنا باستراق النظر تحت "التنورة"، وأذكر في إحدى المرات أن أحد الجنود انتبه لحيلتنا.

المرحلة الابتدائية كانت تستغرق سبع سنوات، أمضيت الخمس الاولى منها في المدرسة البكرية، ثم انتقلت الى المدرسة الرشيدية، وكانت تُعتبر الاكبر في المنطقة بعد دار المعلمين او الكلية العربية في جبل المكبر. في الرشيدية اكملت السنتين الابتدائيتين المتبقيتين بالإضافة الى المرحلة الثانوية التي كانت تستغرق أربع سنوات.

حياتنا كانت محصورة داخل أسوار البلدة القديمة، وحدود تجوالنا لم تتجاوز حدودها إلا عندما نذهب الى المدرسة، ومن يبتعد أكثر من ذلك كان يُعدّ متغربا. منذ صغري تزعمت أطفال الحارة فوالدي شيخ الحارة وأنا قائد فرقة الدفاع عن الحي.

Digitized by Birzeit University Library

منذ نعومة أظفارنا تعلمنا أن نكره المحتل الأجنبي، وقاومناه، فالجو الذي عشناه هيأنا لذلك. الحاج أمين الحسيني بجوارنا، أولاد عمي كانوا معه دائما، وذوينا كان شغلهم الشاغل وجُلّ حديثهم يدور حول الوطن والمحتل. أذكر تجمعات الناس عند الغروب على "مصاطب" الحرم. "مصطبتنا" كانت الأكثر تجمعا، هذه التجمعات التي كنا نحن الأطفال نندس بينها ونستمع الى الأحاديث التي كانت تبحث في شؤون الإحتلال الإنجليزي.

وعن إضراب عام ١٩٣٦ يتذكر:

في العامين الأخيرين من وجودي في المدرسة البكرية ١٩٢٥/١٩٢٦، بدأ الثوار نشاطهم في كل فلسطين تحت قيادة الحاج أمين الحسيني في الحرم القدسي الشريف. ومع بداية إضراب الستة أشهر عام ١٩٢٦، ولم يكن لنا حديث إلا الثورة والإلتفاف حولها، قمنا بمساعدة الثوار بنقل اسلحتهم الى داخل البلدة القديمة حيث مركزهم الرئيس، وذلك بربطها بالفخذ وإخفائها تحت قميص المدرسة الطويل، فالجنود كانوا لا يُخضِعون الاطفال لعمليات التفتيش التي كانت منتشرة. أذكر من الأسلحة التي هربناها "البارابيللو" وهو مسدس ذو ماسورة إطلاق طويلة. كان الثوار يستخدمون "البواردي"، وأذكر منهم "طوري" كان ينام داخل تابوت موجود بالقرب من قبر الشريف حسين عند باب الحديد. وعلى الرغم من خضوع ذلك الحي للتفتيش الدقيق مراراً، إلا أن هذه المحاولات كانت دائما تبوء بالفشل. أما نحن فقد كنا نعلم أماكن تواجد الثوار وكنا ننقل لهم السلاح والطعام وكل شيء. حتى البيانات التي كانت تُعلّق على أبواب الحرم القدسي الشريف ، وابواب الجوامع، وأبواب البلدة القديمة، كنا نحن الأطفال نقوم بتعليقها.

خطابة صلاة الجمعة في الثلاثينات كانت ذات طابع سياسي أكثر منه ديني. إمامة الاقصى كانت كما ذكرت سابقا بيد عائلة الخطيب. في إحدى الجمع من عام ١٩٣٦ كان المواطنون متهيجين لحدث ما لا أذكره، وكان الخطيب

Digitized by Birzeit University Library

للصلاة في ذلك اليوم، الشيخ المرحوم سعد الدين الخطيب، الذي جهز حقيبة سفره قبل الصلاة لأنه توقع أن يقوم الإنجليز بنفيه بعد الصلاة، حيث كان مضمون خطبته تحريضيا. ولكنه أصيب بانفجار في دماغه من شدة حماسه أثناء إلقائه الخطبة، وتوفي على الفور تاركا ولديه زياد الخطيب الذي رافق الحاج أمين الحسيني معظم الوقت، وتوفي في السعودية، وعمر الخطيب الذي يعيش الآن في الأردن.

بعد صلاة الجمعة كانت تُعقد حلقات دراسية ضيقة في زوايا الحرم، لم نسمع عن حركات إسلامية كما نراها اليوم، لأنه لم يكن هناك حركات ظاهرة بالشكل الذي يستدعي ظهور حركة إسلامية، فالجميع مسلمون. كان يوجد بعض الشيوعيين، أذكر منهم مخلص عمر - توفي في السجن - لكنهم كانوا قلة، ومحدودي الفاعلية. وأذكر تماما أن الإنجليز إذا أرادوا أن يسيئوا إلى أحد المواطنين اجتماعيا، كانوا يشيعون أنه شيوعي. من هؤلاء كان أخي عادل الذي اعتقل عدة مرات لأنه عمل ضدهم ولأنه كان نصير العمال وله علاقات مع النقابات العمالية اليهودية. قالوا أنه شيوعي وهو معروف بتقواه، فقد كان لا يقطع فرضا منذ عمله في دار الأيتام الإسلامية، مساعدا لمديرها ثم مديرها.

في المدرسة الرشيدية بدأت جوانب العمل الوطني تتضح أكثر، فالطلاب فيها أكبر وأنضج، ومما زاد حماسنا الوطني هناك مدرسان هما أنور الخطيب التميمي وحسني الأشهب وكلاهما من العناصر المعروفة بمقاومتها المستمرة للإنجليز. عندما كنت في الصف السابع الإبتدائي حضرت مجموعة من الجيش الإنجليزي لإلقاء القبض على أنور الخطيب التميمي . وعندما أدركت ذلك طلبت من بعض الطلبة مرافقتهم الى المبنى الرئيس، في حين توجهت أنا الى البناية الفرعية المطلة على المتحف الفلسطيني وبيت العمد الملاصق للمدرسة (موقع فندق الهولي لاند حاليا) وأخبرت الأستاذ أنور بالأمر، فهرب متسلقا سور المدرسة الى ساحة المتحف حيث اختفى.

Digitized by Birzeit University Library

تعلمت في الرشيدية الكثير بالإضافة الى المواد الأكاديمية، فالاختلاط بالكبار والمعلمين وفّر لي الفرصة لتعلم أشياء أخرى. فحادثة هرب الأستاذ دفعتني وزملائي للتفكير بتطوير أساليبنا النضالية وذلك بالتنسيق مع الكبار والاسترشاد بأرائهم وتجاربهم. بدأنا الإتصال ببعض الثوار المتواجدين في الحرم القدسي الشريف وعرضنا عليهم خدماتنا خصوصا تهريب الأسلحة الى داخل البلدة القديمة.

من الرشيدية كانت تنطلق المظاهرات الوطنية، بالإضافة الى مظاهرات يوم الجمعة التي كانت تنطلق بعد الصلاة. اشتركت في هذه المظاهرات رغم ان الخوف كان يصيبني في بعض الأحيان خصوصا بعد أن ظهر بيننا بعض الجواسيس من الطلبة، وقد ضربناهم ومنعناهم من دخول المدرسة. وبعد فترة علمنا أن آباء بعضهم كانوا من العملاء الإنجليز، وهذا أثر على نشاطنا العلني، ودفعنا لتكثيف نشاطنا السري الذي لمسنا أن نتائجه أفضل. ولا انسى بدوي حلس (عائلة حجازي حاليا) الذي توفي في المملكة العربية السعودية، كان من أصدقائي الذين امتازوا بالجرأة والإقدام، فلا أذكر مظاهرة شارك فيها إلا وكان في مقدمتها. وأذكر أنني في إحدى المظاهرات تلقيت ضربا مُبَرّحا من أحد الجنود الإنجليز قرب المركز الصحي، ولكني تمكنت في النهاية من الهرب، كان عمري حينها حوالي الثالثة عشرة.

من زملائي في المدرسة الرشيدية المرحوم حسين أبو صوي، والمرحوم محمود أبوشكر الذي تميز بخطه الجميل. كلاهما كانا معي في نفس الصف المدرسي. وثلاثتنا قمنا بتشكيل عصابة دعوناها "عصابة الكف الأسود"، وكان ذلك في عام ١٩٤٠، مهمتها كانت تهريب الأسلحة ونقلها بين الثوار، وكتابة المناشير ذات الطابع الإخباري ...أحداث ..شهداء .. مصابين. كنا نعلقها على الأبواب والجدران، أسميناها «الجريدة الأسبوعية». ضُبطت وانا ألصق بعضها على حائط باب العامود، الا أن رفيقي رمى على عيني الشرطي رملا، وانتهزت فرصة انهماكه بالمفاجأة وهربت.

Digitized by Birzeit University Library

كنت من المشاغبين في المدرسة، وطالما تحرشت بالمدرسين. في احدى المرات وكان صفي مطلا على الساحة، خلال حصة اللغة الإنجليزية للأستاذ جميل خوري، وهي المادة التي لم أكن مجتهدا فيها، كنت أراقب الحمام وهو يهبط على الساحة ليقتات مما يتوفر. كان مقعدي بجانب النافذة مباشرة، وكان الأستاذ يميل الى النعاس أحيانا، وكنت انتهز الفرصة لاصطياد الحمام بـ"النقيفة" مستخدما الكرات الزجاجية "الجلال" بدلا من الحصى، وعندما أصطاد واحدة أستأذن الأستاذ للذهاب الى المراحيض، ثم أقوم بذبح الحمامة وأخفيها في الحقيبة حتى أصل البيت. ولكن الأستاذ انتبه لي في إحدى المرات وحولني الى المرحوم حسن عرفات مدير المدرسة حينها، الذي أمر بعقابي حيث ضُربت بعصاة على مؤخرتي ثلاثين مرة.

في حادثة أخرى؛ كان يعلمنا أستاذ - وزنه ثقيل نسبيا - يرمي نفسه على كرسيه بكل ثقله. قمت بحل "براغي" الكرسي ووضعت مكانها عيدان كبريت، وما أن جلس على الكرسي حتى وقع على الأرض. وجاء استنتاجه سريعا وفي محله "أمين الخطيب هو الفاعل" خصوصا أن أحد زملائي وهو من عائلة مراد أكّد ذلك. وكانت النتيجة فصلي من المدرسة، إلا انني عدت اليها بعد الوساطة، حيث اكتفى المدير بطردي لمدة أسبوع.

عام ١٩٤٣ تركنا بيتنا في المدرسة الجوهرية، وانتقلنا الى بيت آخر جديد خارج أسوار البلدة القديمة، في حي واد الجوز. استأجرنا البيت من مالكه المرحوم صالح اللفتاوي، بأجرة سنوية بلغت ٦٥ جنيها فلسطينيا. وما زلت حتى الآن أقيم فيه مع عائلتي.

نلت شهادة مترك فلسطين من المدرسة الرشيدية عام ١٩٤٤. وهو العام الذي توفي فيه والدي. بدأت أُحَضِّرُ للإلتحاق بالجامعة. نويت الإلتحاق بالجامعة الأميركية في بيروت. لكن مصاريف هذه الجامعة مكلفة، لذلك قامت والدتي

Digitized by Birzeit University Library

ببيع بيت كانت تملكه في مدينة البيرة حتى توفر لي المصاريف الأولية التي أحتاجها. واستغلّت باقي المبلغ في فتح محل "نوفوتيه" في حارة النصارى لأخي يوسف الذي وفّر لي مصاريف الجامعة لباقي السنوات من دخل محلّه.

وعن التحاقه بالجامعة الأميركية يقول:

حالتي المادية كطالب في الجامعة الأميركية كانت متواضعة جدا بالنسبة لباقي طلابها الأثرياء. ملابسي التي كنت أسافربها في أول العام الى الجامعة، أعود بها الى البيت في آخر العام.

من الطلاب الذين درسوا معي في الجامعة الأميركية كان جورج حبش، وديع حداد، أحمد الخطيب (كويتي، شغل منصب عضو في البرلمان الكويتي)، وتوفيق الشخشير.كنا جميعا في صف واحد. قبل انقضاء العام الأول لي في الجامعة تَشَكّلَ تنظيم القوميين العرب،الذي بدأ نشاطه السري عام ١٩٤٦. انضممت له عن طريق توفيق الشخشير. كان الدكتور قسطنطين زريق فيلسوف الحركة. شاركت في العديد من المظاهرات التي نُظّمت في بيروت بسبب الهجرات اليهودية الى فلسطين، ولاحقا بسبب قرار التقسيم.

خلال فترة الأربع سنوات التي أمضيتها في الجامعة الأميركية في بيروت، أُوْكِلَ لمجموعتي في حركة القوميين العرب موضوع تنظيم المخيمات الصيفية للأعمال التطوعية، علما بأن القوميين العرب هم أول من بدأ هذا النشاط التطوعي.

أول مخيم صيفي نظمناه كان في قرية « القباب » قرب مدينة اللد. كنا ١٢ طالبا أمضينا في القرية ثلاثة أسابيع، ثم اكمل بعدنا ١٢ طالبا آخرا ثلاثة أسابيع أخرى. الذين اشتركوا في المخيم كانوا من مختلف التخصصات .. صيدلة، زراعة، طب، شريعة، ومن مختلف الجامعات. ذهبنا للقرية لنساعد

Digitized by Birzeit University Library

سكانها في التشجير، ولكننا وجدنا أمورا أخرى استدعت تدخلنا. لجوؤهم لمصادر المياه التي تشرب منها دوابهم في الإستخدامات الآدمية، دفعنا لأن نعلمهم كيفية تنظيم مسارات المياه بحيث تُفصل المياه المستخدمة لأغراض آدمية عن التي يشرب منها الحيوانات. علمناهم الإسعافات الأولية خصوصا استخدام "القطرة في العين" لأن مرض «التراخوما»، كان منتشرا بين سكان القرية في ذلك الحين.

في المخيمات الصيفية كان سكان القرى يوفرون لنا المأوى والماء. أما الطعام فقد أمّناه من مصروفنا الشهري الذي كنا نتلقاه من أهالينا، لأنه كان محظورا علينا أن نحصل عليه من المواطنين. كنا نطلي الشجر بالشيد حماية له من الدود. ونزرع الأرض بمختلف أنواع المزروعات. بالإضافة لكل ذلك كنا ننظم حلقات محدودة لتعليم الأطفال، ونؤهل أشخاصا من سكان القرية ليتموا تعليم الأطفال من بعدنا، وذلك محاولة منا لتأسيس روضة أطفال. وهكذا انتقلنا من قرية الى أخرى حتى في سوريا ولبنان. وقد أنجزت أطروحة في تخصصي الفرعي (علوم أجتماعية) حول هذا الموضوع بعنوان « الخدمات الريفية التطوعية في سوريا ولبنان وفلسطين ».

خلال سنوات دراستي في الجامعة الأميركية في بيروت، التحقت ب"بيرليتز" وهي مدرسة يهودية لتعليم اللغة العبرية في القدس، وانضممت لناد يدعى "الهبوعيل" في البخارية بعد "موشيرم"، وهو حي في القسم الغربي لمدينةالقدس. وكان ذلك بناء على طلب من حركة القوميين العرب بهدف جمع معلومات عن الحركات السرية اليهودية وطبيعة تدريباتهم العسكرية. ولكنهم أدركوا نيتي وفصلوني في أواخر عام ١٩٤٧.

في تلك الفترة كان أخي روحي يعمل في المكتب العربي مع موسى العلمي على طريق القدس / بيت لحم، مقابل محطة سكة الحديد. نشاطات المكتب كانت سياسية دعائية لصالح عروبة فلسطين. وقبل ذلك عمل روحي في

Digitized by Birzeit University Library

دائرة الجوازات في طبرية، ثم في المكتب الرئيس للجوازات في القدس. وانتقل فيما بعد الى دائرة العمل ليشغل منصب مديرها.

وعن نكبة عام ١٩٤٨ يتذكر:

عندما اندلعت حرب ١٩٤٨ كنت في بيروت أثناء حرب أتهيأ لامتحان السنة الأخيرة النهائي للحصول على شهادة البكالوريوس في العلوم. وعندما عقدت الهدنة الأولى، عدت الى البلاد بعد أن حصلت على شهادتي. وجدت خطوط فصل بين منطقتين عربية ويهودية، وقوات هدنة دولية يرئسها مندوب الأمم المتحدة الكونت برنادوت.

انشغالي بالأمور السياسية في بيروت كان على حساب تحصيلي العلمي، فمعدلي النهائي لم يؤهلني للإلتحاق بكلية الطب في الجامعة الأميركية. هذا بالإضافة الى أن الحكومة اللبنانية منعتني وأحمد الخطيب من الإستمرار في التواجد على الأراضي اللبنانية باعتبار أننا من نشطاء حركة القوميين العرب.

انضمامي لصفوف جيش الجهاد المقدس، كان ردة فعلي الأولية لهذا الواقع المؤلم الجديد. جيش الجهاد المقدس وموقعه في المدرسة القادسية داخل أسوار البلدة القديمة في باب السهرة، كان بقيادة خالد الحسيني. ومن اعضائه فؤاد الخطيب .. ابن عم لي، وعبد النور جنحو الذي انضم لصفوف الجهاد بعد حادثة أثارت ضجة كبيرة، حيث قام بوضع الغام في احد المراكز الحيوية في غربي القدس.

لم يكن لدى جيش الجهاد المقدس فرقة اسعاف،و رغم أنني لم أكن حينها حاصلا على شهادة طبيب، إلا أنني كنت ملما ببعض الجوانب الطبية التي اكتسبتها خلال دراستي الجامعية في بيروت، بالإضافة الى أنني استفدت من دورات الأسعاف التي كان ينظمها القوميون العرب. بدأت بتنظيم فرقة إسعاف

Digitized by Birzeit University Library

بعد أن اتفقت معهم على ذلك، وعُيّنتُ قائدا لفرقة الإسعاف. بدأت نشاطي معهم بتنظيم دورة إسعاف أولي مكثفة لمدة أسبوع ورتبت محاضرات يومية،صباحا ومساء. توليت عملية جمع كميات من الأدوية خصوصا المطهرات ومستلزمات الجروح - الصليب الأحمر كان أحد مصادرنا - ولاحقا جمعنا مستلزمات علاج كسور العظام وما نحتاجه للإسعافات الأولية كالقماش الذي ابتعناه من سوق العطارين والخواجات.

فرق التدمير (وهي وحدات كوماندوز تقوم بعميات عسكرية في المناطق التي يقطنها اليهود) كانت بحاجة الى فريق إسعاف يرافقها في المناطق الأمامية، قمت بتنظيمه وكنت أحد أعضائه.

في نفس الوقت الذي كنت فيه منهمكا بنشاطاتي بـ"الجهاد"، كان أخي روحي يقوم - بدون علمي - باتصالات مع أصدقاء له في سوريا من عائلة الخطيب لكنهم ليسوا أقرباء لنا. والشخص الذي اتصل به كان قريبا لفؤاد باشا الخطيب الذي كان مرافقا للأمير عبدالله حينها واسمه عبد الباسط الخطيب. وقد شغل منصب رئيس دائرة الري حينها. أخي روحي اتصل به طالبا العمل على إلحاقي بكلية الطب في الجامعة السورية.

من ناحية أخرى، عندما عقدت الهدنة الثانية (بعد الأولى بحوالي شهرين)، خضعت القدس والضفة الغربية للحكم العسكري الأردني. وحاول الفلسطينيون بالتنسيق مع السلطات الأردنية تنظيم أمورهم بعد الإختلال الناتج عن النكبة. شُكّلت لجنة قومية بعضوية أخي روحي الذي عمل في دائرة جوازات السفر البريطانية قبل حرب ١٩٤٨، ووصل الى منصب مدير الدائرة، ثم انتقل الى دائرة العمل حيث عمل مديرا لها. بعد النكبة طُلِبَ منه إنشاء مكتب أو دائرة صغيرة مؤقتة لإصدار تصاريح سفر للمواطنين الذين يعبرون الأردن، فالمناطق المتبقية من فلسطين خضعت كما ذكرت للحكم العسكري الأردني، وعبدالله التل كان قائد المنطقة.

Digitized by Birzeit University Library

في تلك الفترة، كان صديق لي يدعى موسى مارتو وهو مسيحي سرياني من سكان القدس الأثرياء الذين يمتلكون محطات بنزين، قد قال لي بأنه اتصل باقرباء له في الشام طالبا العمل في وزارة التربية والتعليم السورية، وأضاف بأنه ذاهب الى هناك بعد علمه بقبوله في منطقة القامشلي (شمال سوريا قرب الحدود السورية التركية). طَلَبْتُ منه أن يقدم أوراقي هناك لنفس العمل وزودته بنسخ عن مؤهلاتي الأكاديمية. بعد سفره بفترة وجيزة جاءني الجواب بالموافقة على طلبي، وعينت معلما في القامشلي ايضا. لكني لم أعرف حينها أين تقع هذه المنطقة، اعتقدت أنها حوالي الشام ولم أدرِ انها تبعد كل هذا البعد.

وعن إلتحاقه بالجامعة السورية يقول:

مع بداية عام ١٩٤٩ ذهبت الى الشام بعد أن أنهيت عملي في " الجهاد المقدس " الذي حُلّ بعد الهدنة الأولى. سافرت مستخدما وثيقة سفر أو تصريح صادر من المكتب الذي كان يديره أخي. وهو تصريح من الحاكم العسكري مُوَقّعا من قبل أخي. وبقيت هذه الوثيقة جواز السفر الفلسطيني حتى ضُمّت الضفة الغربية للمملكة الأردنية الهاشمية بعد انعقاد مؤتمر أريحا عام ١٩٥٠، حيث أصبح جواز السفر الأردني هو الوثيقة الرسمية المعمول بها في البلاد.

وصلت الشام وكان معي رقم هاتف عبد الباسط الخطيب. توجهت الى المسؤول عن توظيفي حيث أجابني عن كل استفساراتي حول الوظيفة والراتب الذي قدرته حينها بثلاثين جنيها فلسطينيا، وهذا راتب جيد في ذلك الوقت، مردّ ذلك أن السوريين كانوا يدفعون رواتب عالية للمدرسين في المناطق النائية مقارنة مع العاملين في المدن. اتصلت بعبد الباسط الخطيب الذي رحب بي وطلب مني الحضور الى بيته في صباح اليوم التالي بعدما وصف موقعه، وأصر على أن أفطر معه.

Digitized by Birzeit University Library

في صباح اليوم التالي وصلت بيته في الموعد المحدد، وأفطرت معه. سألني عن رغبتي في متابعة تعليمي الجامعي في مجال الطب. أجبته وقلت له بأنها أمنية طالما تمنيت وسعيت لتحقيقها.

سألني عن النقود.

قلت له: معي ٦٠ جنيها فلسطينيا.

قال: "بسيطة"!

قلت: ما هي الـ"بسيطة"؟!

قال: ستلتحق بكلية الطب في الشام.

قلت: كيف يمكن ذلك وقد مرّ على بدء العام الدراسي ثلاثة أشهر، فنحن في كانون الثاني والدراسة بدأت في تشرين الأول؟

قال: بما أنك أنهيت العلوم في الجامعة الأميركية، أعتقد بأن لديك الخلفية العلمية المناسبة لمساعدتك. وتابع: لكن الدراسة هنا باللغة العربية لا بالإنكليزية.

قلت: لغتي الإنكليزية ليست جيدة، وأفضل الدراسة باللغة العربية.

خرجنا معا لمقابلة عميد كلية الطب، كان من عائلة العايدي. عندما وصلنا، عرّفني عبد الباسط للعميد قائلا: هذا هو يا سيدي.

قال العميد موجها كلامه لي: ماذا درست في الجامعة الأميركية؟

قلت له: كيمياء وأحياء وأعطيته شهاداتي.

قال: هل تستطيع أن تكمل عندنا سنة أولى طب.

قلت: "أُجَرّب" وإذا رسبت أعيد السنة.

قال: حسنا.

ثم دق الجرس، فحضر الآذن وسأله العميد عن الكتب التي جمعها. (وكان المدرسون في الجامعة السورية في ذلك الوقت يعدون كتب موادهم). أحضر الآذن مجموعة الكتب الدراسية للسنة الأولى، وسلمها العميد لي.

قلت: وماذا بعد ذلك؟

قال: إذهب الآن الى الصف.

أجبت باستغراب: الى الصف!

قال: وماذا في ذلك؟

Digitized by Birzeit University Library

ذهبت الى الصف وكانت المحاضرة "فسيولوجي". دخلت الصف بعد الإستئذان. الأستاذ سأل سؤالين ولكن أحدا لم يجب، رفعت يدي.
سألني: هل تعرف الإجابة؟ كان الطلاب ينظرون الي بدهشة.
قلت له: درست مادة الـ" فسيولوجي " في الجامعة الأميركية ببيروت، واستأذنته لأن إجابتي ستكون باللغتين العربية والإنكليزية، وذلك لأنني لا أعرف المصطلحات باللغة العربية.
اجبت على السؤالين وكانت إجابتي صحيحة، مما أثار حماسي للدراسة مجددا.

عندما التحقت بجامعة دمشق عام ١٩٤٩ كان هناك حوالي ٢٦ طالبا فلسطينيا فقط من مجموع ٢٣٠٠ طالبا. لم نعرف بعضنا البعض. أذكر أن أول فلسطيني التقيته وتعرفت عليه كان ميشيل ليوس وهو من ترشيحا (شمالي فلسطين)، والآن يمارس مهنة الطب بنجاح في مدينة الزرقاء بالأردن، وكان يسبقني بعام. ولحقني في الجامعة فلسطينيين، عبد الحفيظ الأشهب، وفتاتان من عائلة عبد الهادي - درستا في كلية الطب - وفاروق عبد الرحيم وفريحة صيام - صيدلة - وحاتم أبو غزالة وفارس مسعود. وتجمنا في العام التالي ٥٦ فلسطينيا، وقمنا بانشاء رابطة خاصة بنا.

بعد انقضاء حوالي أسبوعين على انتظامي في صفوف الجامعة، صدر مرسوم حكومي بتخصيص مبلغ شهري قدره ٦٠ ليرة سورية لكل طالب فلسطيني، أي ما يعادل ١٠ جنيهات فلسطينية. بذلك أصبح لدي شهريا مبلغ ١٥ جنيها فلسطينيا، مجموع ما أتلقاه من عائلتي والجامعة. وهذا المبلغ يكفيني للمعيشة في الشام. وبناء على الواقع الجديد اتفقت مع زميل لي حموي (من مدينة حماة) على استئجار بيت خاص بنا، تقاسمنا أجرته. كنا نُجَهّز طعامنا بانفسنا للثلاث وجبات، فمخصصاتنا المالية لا تكفي لوجبات المطاعم الجاهزة.

Digitized by Birzeit University Library

صادف دخولي الجامعة السورية فصل شتاء قاس، ولم أكن مهيأ لمثل هذا الظرف المناخي، فقد حضرت الى الشام بدون ملابس شتوية. اضطررت للذهاب الى سوق "الباليه"، سوق مخصص لبيع الملابس القديمة أو المستعملة، واشتريت سراويل شتوية بلون "كاكي" وجاكيتات مخمل حتى أظهر بمظهر الطالب الثري. كنت لا أحب أن أظهر وكأن شيئا ينقصني. أذكر أنه في مرحلة متقدمة من وجودي في الجامعة، ازدادت مصاريفي وأضطررت للعمل محاسبا في فترة بعد الظهر عند بعض التجار. وفي أحيان أخرى اشتغلت مُرَوِّجاً للأدوية، حيث كنت أحمل حقيبة مملوءة بالأدوية وأطوف بها على عيادات الأطباء. وأذكر أسبوعا ضاقت فيه الحال معي جدا، لدرجة أنني لجأت لشراء " القضامة الصفراء المكسرة " لسد جوعي ، لعلمي بأنها مادة غذائية كاملة تحتوي على البروتين والسكريات والنشويات. كنت اشتريها بالكيلو واملأ معدتي. ذقت مرّ الحياة، ومعاناتي هذه تركت آثارا واضحة على حياتي العملية بعد الجامعة، فقد عرفت قيمة " القرش " وأدركت معنى الحاجة التي تُنغّصُ حياة الإنسان.

بعد مرور عامين على التحاقي بالجامعة، أصر ابن عمتي عزمي أبو السعود، الذي هاجر من فلسطين منذ عام ١٩٤٨، الى عمان ثم الى الشام، على أن اقيم معه وعائلته في بيته. وافقت، وبعد عامين طلبت منه أن يقبلني زوجا لابنته. وافق، والحمدالله تم زواجي منها بعد تخرجي.

كانت الجامعة السورية تتبع النظام الفرنسي في التدريس، ولكن اللغة الإنكيزية أصبحت أكثر انتشارا على المستوى الدولي، وسوريا صارت اكثر انفتاحا على كل من انجلترا والولايات المتحدة. هذا الواقع الجديد كان داعيا لإعادة تنظيم الجامعة. لذلك قامت الحكومة السورية بانتداب الدكتور قسطنطين زريق رسميا ليقوم باعادة تنظيم الجامعة. قبل حضوره الى الشام كنت على اتصال باخواني في حركة القوميين العرب علما بأن عددهم كان قليلا جدا هناك. ولكن بعد أن استلم مهامه في الجامعة السورية ازداد نشاطنا وعُرِفْنا بأسمائنا وشخوصنا، واشتركنا في مجالس الطلبة لأول مرة. وعلى الرغم من

Digitized by Birzeit University Library

قلتّنا الا اننا نجحنا مع البعثيين في مجالس الطلبة، وكان ذلك عندما كان الحزب «حزب البعث» بيد ميشيل عفلق. اشتراكنا في مجلس الطلبة كان على أساس كوننا فلسطينيين وليس لأننا حركة قوميين عرب، لكننا ضمنيا بتعاوننا مع حزب البعث كنا معروفين كقوميين. حتى أنه كان لي وجهة نظر عندما انضم البعث وعميده ميشيل عفلق الى الحزب العربي الإشتراكي بشخص رئيسه أكرم حوراني المعروف بقوته، ليصبح حزب البعث العربي الإشتراكي.

في سوريا واجهتني مشاكل سياسية كثيرة، فقد عاصرت انقلابات عديدة في فترة زمنية قصيرة قياسية. أذكر في فترة حكم أديب الشيشكلي، حدثت محاولة انقلابية ضده. اعتُقلت على أثرها في سجن المزة لمدة ثلاثة أيام، لأنني عضو في حركة القوميين العرب . أذكر حين استدعى الرئيس السوري جميع ممثلي طلبة الأقطار العربية، وكنت ضمنهم ممثلا عن الطلبة الفلسطينيين - وكنا نحن الفلسطينيين نتمتع بميزات .. منح وغيرها، حتى أن الرئيس بنفسه كان قد عرض علينا في السابق ثكنة عسكرية أمام سوق الحميدية لتكون مسكنا للطلبة الفلسطينيين - وقد دار الحوار التالي بيننا-

قال موجها الحديث لي: عندما قابلتموني في المرة السابقة، استلطفتك وأعجبت باسلوبك في الحديث، وعندما سمعت أن اسمك ورد مع المتآمرين، كنت على يقين بأنك بريء. ولكني أريد أن أوضح لك شيئا وهو أنك عندنا ضيفا، إذا أردت أن تكمل دراستك بسلام ،أهلا وسهلا، أما إذا لم يكن الأمر كذلك، نُحَمّلُك أنت وأغراضك في سيارة حتى حدود الاردن.

قلت له: أريد أن أدرس.

قال: إذا أريد منك وعدا، ووعد الحر دين. أريد منك أن لا تشترك في أي نشاط سياسي أثناء دراستك في الجامعة عندنا. بعد أن تنهي دراستك، انت حر، اعتنق المبدأ الذي تريده وتصرف كما يحلو لك، ولكن لا تقم بأي نشاط سياسي طالما انت ضيف علينا.

وفعلا وعدته بأنني لن أمارس النشاط السياسي، وبقيت هناك حتى حصلت على شهادتي.

Digitized by Birzeit University Library

وكان رفيقي على مقاعد الدراسة في الجامعة، نور الدين الأتاسي الذي أستلم في فترة لاحقة دفة الحكم عندما شغل منصب رئاسة الجمهورية. واسمه الكامل أحمد نور الدين الأتاسي. وكان في الجامعة من البعثيين النشطاء، حتى أنه أصبح رئيسا لمجلس الطلبة في أحدى دوراته الإنتخابية. وكان الأتاسي، وهو من مدينة حمص السورية، طيبا جدا، يتحمل المزاح. تخرجنا معا من كلية الطب.

في فترة حكم الأتاسي (١٩٦٦ - ١٩٧٠) زرت الشام عدة مرات حيث يقيم أهل زوجتي. عام ١٩٦٨ توفي والد زوجتي ، توجهت الى سوريا عبر الأردن للقيام بالواجب، الا ان ضابطا سوريا في مدينة درعا السورية على الحدود مع الاردن أوقفني بتهمة قتل فلسطيني في سوق الحميدية. حاولت أن أستفسر عن التفاصيل، لكنه لم يفدني بشيء، واكتفى بالقول بأن لا تفاصيل عنده. ولكن تبين من خلال حواري معه أن فارق السن بيني وبين القاتل يبلغ حوالي عشرين عاما. فقلت له أن هذا الفارق لايمكن تجاوزه، إضافة الى أن تاريخ الجريمة يتزامن مع وجودي داخل السجن في عمان بتهمة التآمر على الملك حسين كعضو في حركة القوميين العرب. وطلبت منه التحقق من ذلك عن طريق الإتصال بمحافظ الرمثا آنذاك، وطلبت أيضا الإتصال بالرئيس نورالدين وعرض قصتي عليه. وفعلا تحققوا من صحة أقوالي، واتصلوا بالدكتور نورالدين الذي طلب منهم مرافقتي حتى الشام. كان معي حينها سيارة " فولكسفاجن ". وعندما وصلنا بيت عائلة زوجتي، طلب مرافقي الترجل من سيارتي والتوجه الى سيارتهم الجيب "لأنني مطلوب" !. سألته عن السبب مرة أخرى. قال أوامر الدكتور نورالدين الأتاسي. ذهبت معه وتناولت مع رفيق الجامعة طعام الغذاء، وعدت الى منزل أهل زوجتي خاتما بذلك تطورات حادثة لن أنساها.

في أوائل الخمسينات ازداد حمل أخي عادل لأزدياد عدد أفراد عائلته، ولم يعد راتبه في دار الأيتام الإسلامية يكفيه. طلبت من صديق لي في الكويت أن يجد له عملا هناك. وقد سعى لذلك ووجد له وظيفة محاسب في شركة عبد

Digitized by Birzeit University Library

الرحمن البحر. عادل سافر الى الكويت، وبقي هناك حتى تقاعد. حضر الى عمان وما زال يقيم فيها.

بعد تخرجي من الجامعة السورية في صيف ١٩٥٤، بقيت عاطلا عن العمل لمدة أربعة شهور، كنت خلالها أُشْرِفُ على علاج العديد من أقاربي ومعارفي الذين كانوا يزورونني طلبا لمعرفة أسباب متاعبهم الصحية وطرق علاجها.

أمضيت سنة الامتياز في مستشفى المطلع، وكان المستشفى الوحيد في القدس ذلك الوقت، يحتوي على ٤٠٠ سرير، ويشرف عليه الجهاز الطبي في وكالة الغوث. كان يستقبل حالات أمراض القلب، النساء والولادة، الجراحة العامة، الامراض الباطنية والامراض المعدية التي خصص لها مكانا منعزلا خلف المستشفى. وللحقيقة استفدت من وجودي في هذا المستشفى استفادة عظيمة جدا حيث تعرفت على العديد من المواطنين الذين حضروا الى المستشفى من شتى انحاء البلاد.

خلال الفترة التي أمضيتها في " المطلع " سمعت كثيرا عن الدكتور نجار، وهي طبيبة لبنانية، ومعادلتها للأملاح التي كنا نلجأ لها في العلاج الأولي لحالات الإسهال. الدكتور مجج، وهو الذي نقل لنا هذه المعادلة، كان دائما يشير الى تركيبة الأملاح هذه بمعادلة نجار (NAJJAR FORMULA). في ذلك الوقت لم يُعترف بهذه المعادلة رسميا، لكن في الوقت الحاضر نشاهد الإعلانات المختلفة في أجهزة التلفزيون وغيره من وسائل الإعلام عن محاليل الأملاح مثل "الأكواسال" التي تعالج الإسهالات وتركيبتها مطابقة تماما لـ "معادلة نجار".

Digitized by Birzeit University Library

وعن العمل في وكالة الغوث يذكر:

في أواخر عام ١٩٥٤ استلمت عملي في وكالة الغوث، عندما شغرت وظيفة طبيب في منطقة إربد. وكان من الصعب أن يقبل طبيب العمل هناك لأن التعامل مع اللاجئين في المنطقة كان من الصعب للغاية. استلمت عملي في إربد وتزوجت بعد شهرين. كنت خاطبا منذ السنةالثالثة في الجامعة كما ذكرت. ارتحت كثيرا في اربد، اهلها كانوا اجتماعيين. تعرفت هناك على الدكتور احمد الطوالبة من اهالي اربد المعروفين بميولهم القومية. كنت مشرفا على خمس عيادات تابعة لوكالة الغوث في خمس مناطق مختلفة: اربد، وادي اليابس، الشونة الشمالية، المفرق والرمثا. كل يوم امضيه في عيادة باستثناء المفرق والرمثا حيث خصصت لهما يوما واحدا. اقامتي كانت في اربد، وانتقالي بين المناطق المختلفة كان في سيارة تابعة لوكالة الغوث. كان العمل متعبا، ولكنني كنت متمتعا بحيويتي ومقبلا على الحياة ولدي رغبة شديدة للعمل.

في اربد، حياتي الإجتماعية كانت طيبة. مواطنوها يتقبلون الغريب بسرعة، خصوصا إذا كان هذا الغريب يتمتع بالأخلاق الحميدة. وأنا من جهتي حرصت على أن لا أتدخل في خصوصياتهم، وعلى أن أحافظ على مركزي كطبيب. علاقاتي مع السكان كانت جيدة، وقد ارتبطت بعلاقات صداقة مع العديد منهم ..اربديون وغير اربديين. استقرت اموري هناك. فتحت عيادة خاصة بي في المفرق، في بيت الممرض الذي كان يعمل معي في وكالة الغوث. استفدت منها في فترة بعد الظهر. وفي الحقيقة كان مردودها المادي جيدا. فقد تعاونت مع شخص له علاقة قوية مع القبائل والعشائر المحلية اسمه هارون شباط، وهو ماروني يجيد " إعطاء الإبر " التي كانت منتشرة جدا في ذلك الوقت.

أذكر أول حادثة تسمم بـ" الفاليدول " وهو مبيد حشري يستخدم للقضاء على الآفات النباتية. هذه المادة كانت جديدة على البلاد ولا نعرف المادة

Digitized by Birzeit University Library

المستخدمة لعلاج التسمم الذي تسببه. أحضروا امرأة الى مستشفى اربد مصابة بالتسمم، تلفظ أنفاسها الأخيرة من جراء استخدامها هذه المادة دون الأخذ بأسباب الحذر. بعدها عرفت حالتها وأرسلت طالبا معرفة مادة العلاج، توفيت المرأة، على الرغم من ان المادة المضادة للتسمم سهلة وهي "الأتروبين"، وكانت متوفرة الا اننا لم نكن نعرفها حينها. ولكن جميع حالات التسمم بعدها تمكنا من علاجها لأننا كنا نعالجهم فور معرفة حالاتهم. وقد كانت تردنا حالات تسمم كثيرة مماثلة نتيجة جهل المواطنين بأساليب استخدامها. بالإضافة الى ذلك كانت الأمراض الجلدية منتشرة، وكنا نستقبل حالات جفاف كثيرة عند الاطفال، توفي العديد منهم بسبب الإسهالات الحادة. ولاحظنا حالات جفاف قاسية مع فقر دم. كنا نرسلهم الى مستشفيات عمان أو مستشفى السلط الذي كان تحت إشراف وكالة الغوث، لأن اربد لم يكن فيها سوى عيادة الوكالة ومستشفى تابع لها يضم حوالي ١٢ سريرا فقط.

الإنتقال الى أريحا:

خلال وجودي في اربد كان نشاطي السياسي محدودا جدا. لكن في عام ١٩٥٦ عندما سُمح لجورج حبش بدخول عمان حيث فتح عيادة خاصة به بالإشتراك مع وديع حداد في ميدان المهاجرين. طَلَبت مني حركة القوميين التوجه الى مدينة اريحا حيث التواجد الكثيف للاجئين الفلسطينيين (حوالي ١٠٠الف لاجيء). بناء على ذلك قدمت للوكالة طلبا بنقلي الى مدينة اريحا. وتمت الموافقة على طلبي وساعدني في ذلك وجود شاغر هناك. انتقلت الى الموقع الجديد بعد حوالي عام ونصف أمضيتها في إربد، حيث استلمت عيادتَيْ عين السلطان والنويعمة بالاضافة الى مستشفى اريحا الحكومي - ٢٦ سريرا - الذي كان يخضع لادارة وكالة الغوث. في نفس الوقت كنت مشرفا على طبابة المشروع الإنشائي .. سواء الطلاب أو الموظفين. فقد كان أخي روحي عضوا في الهيئة التي تشرف على المشروع الإنشائي مع المرحوم موسى العلمي. لذلك عينت مشرفا طبيا على حوالي ٢٠٠ انسان، ولكن تطوعا.

Digitized by Birzeit University Library

عام ١٩٥٦ أغلق أخي يوسف دكانه في حارة النصارى، بعد أن رتب له شقيقنا عادل دكانا آخر في الكويت. سافر ونجح في أعماله وبقي هناك حتى أصيب بنوبة قلبية قبيل هجوم قوات التحالف على العراق عام ١٩٩١، توفي على أثرها.

فتحت عيادة خاصة بي تحت مسكني في أوائل عام ١٩٥٧. وكانت "كشفيتي" بـ ١٥ قرشا أردنيا. العيادة عملت جيدا خصوصا بعد قدوم الجيوش العربية حيث أقام قسم منهم في الأغوار. وكان قسم من الجيش السعودي المرابط في منطقة أريحا قد اصطحبوا عائلاتهم معهم. سمعتي المهنية بينهم كانت جيدة جدا، زارني مرضاهم، واستفدت منهم ماليا.

نشاطي الطبي في مدينة أريحا كان متشعبا ما بين وكالة الغوث بمراكزها الطبية ومدارسها، المشروع الإنشائي، وعيادتي الخاصة. لكنني كنت ارتب برنامجي بشكل دقيق، بحيث لا يتعارض عملي في مكان معه في مكان آخر. والتجاوزات الإضطرارية كانت مقبولة سواء من المواطنين أو زملائي في الوكالة.

من جملة المفارقات التي حدثت معي في أريحا. حضرالدكتور كامل عيد مدير الخدمات الطبية العربي في الوكالة الى أريحا مع المدير العام للخدمات الطبية الدكتور سميث وهو استرالي عبر جسر الملك حسين. وصادف وجودهم هناك حادث وقوع أكياس طحين على أحد العمال مما تسبب في كسر عموده الفقاري، وأدى الى إصابته بالشلل. نُقِلَ المصاب الى مستشفى أريحا. كنت حينها أشرف على حالة ولادة طارئة في أحد المخيمات. الدكتور كامل لم يجدني في المستشفى، احتج على ذلك بالصراخ وكيل الشتائم. عدت الى المستشفى بعد انتهاء ما كنت أقوم به. قابلني الدكتور كامل بعصبية شديدة، انتظرت حتى هدأ ثم قلت له: أنت طبيب فلماذا لم تسعف المريض، إفْتَرِضْ بأني لست

Digitized by Birzeit University Library

موجودا أو حتى أنني المصاب .. من الذي سيسعفني ؟. انتهى الحوار وحملنا المريض معا الى مستشفى المطلع في القدس.

الطب العربي في الخمسينات كان منتشرا جدا خصوصا في حالات كسور العظام، فقد كانت ثقة الناس بالطب العربي في مثل هذه الحالات أكثر. أذكر مرة زارني أحد شيوخ البدو مصطحبا ابنته التي تعاني من تلف في كفها بعد أن "عض" جمل يدها. عرضها علي، وقدرت حالتها، وقررت تحويلها الى مستشفى المطلع لسوء حالتها. في مستشفى المطلع قرروا قطع يدها. لكن الشيخ رفض ذلك مصرا على أنه يمكن معالجة يد ابنته. مرت الأيام وعادت هذه الفتاة مع امها الى عيادتي. الفتاة كانت تضحك بصوت مسموع!! سألتها ما الذي يضحكها. فكشفت عن يدها المتضررة وقالت: هذه يدي يا دكتور وهي سليمة كما ترى.

في اريحا واجهنا أمراضا مختلفة. بعضها يعود لاكتظاظ المخيمات، وطبيعة الحياة فيها التي تفتقر لأسباب النظافة، كالإسهالات و "الديزنطاريا" والأمراض الجلدية والملاريا. وقد خفت الأخيرة تدريجيا بسبب مكافحة "الناموسة". والبعض الأخر يعود لطبيعة منطقة الأغوار الحارة، كقرصات العقارب والأفاعي. ولكن انتشار جميع هذه الأمراض وغيرها يعود بالدرجة الأولى لقلة الوعي الصحي.

عن طريق الوكالة بدأنا تنفيذ برامج توعية صحية خصوصا فيما يتعلق بمراكز الأمومة والطفولة. أشرفت على هذه البرامج من موقع إدارتها في عين السلطان، حيث أقمنا مطعما خاصا للعناية بشؤون الأطفال والحوامل الغذائية. وللحقيقة لم نكتف ببرامج الوكالة، إذ كنا سواء أطباء أو ممرضات لا نوفر فرصة سانحة لارشاد المواطنين صحيا. وهذه مهمة أخذناها على عاتقنا ونفذناها حبا في أي مكان نلتقي فيه بالمواطن أو المواطنين.

Digitized by Birzeit University Library

بعدما استقر الحال بي في أربحا، وطبعا معي زوجتي وابنتي مها المولودة في اربد، بدأت أحضر للعمل السياسي من خلال عملي كطبيب ونشاطي الاجتماعي. فزيارات البيوت وملاطفة المرضى لأبعد الحدود، وعدم التقصير حين يحتاجني المريض في اي وقت .. في الليل او النهار، ومقابلة السيئة بالحسنة. كل ذلك مكنني من ان أكون موضع ثقة الناس ، التي ما أن لمستها حتى باشرت بالترويج الفكري لحركة القوميين عن طريق توزيع مطبوعاتها ابتداء بمجلة " الرأي " ومرورا بـ " الحرية " وانتهاء بملحقها الصغير " الثأر ". هذه الأسماء لم تأت من فراغ، فشعار الحركة حينها كان « دم، حديد، نار، وحدة، تحرر، ثأر ». وبهذا الشعار استطعنا الاستحواذ على قلوب وعقول الجماهير الغفيرة المُهَجّرة من ديارها. فالثأر للظلم الذي حاق بهم كان محور تفكيرهم. والثأر عند العرب شأنه كبير. بينما فشل البعثيون في هذا المضمار لأن شعارهم في ذلك الوقت لم يتعامل مع طبيعة المرحلة، فالإشتراكية التي أعلنوها مذهبا لتنظيمهم، كانت جديدة على الجمهور وتثير في نفوسهم المخاوف. اما نحن ورغم ايماننا بالاشتراكية، لم نرفعها شعارا لإدراكنا مدى صعوبة تطبيقها في ذلك الوقت. وفضلنا أن نتبنى شعارا مرحليا يفي بحاجتنا لتوسيع القاعدة الجماهيرية التي نستند اليها في مختلف المخيمات الفلسطينية في الاردن وسوريا ولبنان. في الواقع، لقد كانت " الثأر " كلمة سحرية ساعدت في ضم أعضاء جدد عديدين الى الحركة.

الأعضاء البارزون في حركة القوميين كانوا من الأطباء، وهذه ليست مصادفة، فقد اهتممنا منذ البداية بأن ترتكز الحركة على مجموعة من الأطباء باعتبارهم الأقرب الى الجماهير. فهم يدخلون البيوت، وهم دائما مصدر ثقة للناس لأنهم ينجدونهم من الامهم واوجاعهم. وكان من ضمن الأعضاء معلمين ومحامين وعمال، من مختلف المناطق في الشمال والوسط، لكن في الخليل كان نشاطنا ضعيف نسبيا. ورغم ذلك فقد كان لدينا فيها مؤيدين ومتعاونين، أذكر منهم المرحوم عبد الخالق يغمور.

Digitized by Birzeit University Library

المؤازرون أو المؤيدون لحركة القوميين كانوا فئة أخرى غير الأعضاء، ساعدتنا كثيرا، فقد كانوا يتجاوبون معنا في نداءاتنا للمظاهرات وغيرها من النشاطات الإحتجاجية الجماهيرية. وكانوا يطلعون على كل المطبوعات الصادرة عن حركة القوميين التي كانت تعبر بصدق عما يجول داخلهم من مشاعر تجاه مدنهم وقراهم المغتصبة.

عندما استلم سليمان النابلسي المعروف بتوجهاته القومية ومعاداته للغرب رئاسة الحكومة الاردنية عام ١٩٥٦، وأحد مؤسسي الحزب الاشتراكي الوطني عام ١٩٤٥، انتشر شيء من الرخاء السياسي، وظهرت الاحزاب السياسية بصورة واضحة وجلية. ونحن بدورنا كتنظيم سياسي، كثفنا نشاطنا التعبوي. لكن الامر لم يدم طويلا فقد قام الملك حسين بعزل سليمان النابلسي في العام التالي ١٩٥٧، وعين مكانه الدكتور حسين فخري الخالدي.

بعد النابلسي كان الجو السياسي معبأ وتحت تأثير الحريات التي تبنتها حكومته. وكانت حركة القوميين حينها من الحركات السياسية البارزة. وقد لعبت دورا ملحوظا في إجبار الدكتور حسين فخري الخالدي الذي استلم الوزارة في ١٥ نيسان ١٩٥٧ على الاستقالة بعد اسبوع.

فقد جرت مظاهرة صاخبة بهذه المناسبة أمام مخفر الشرطة، في الساحة بمدينة أريحا، حيث تجمع حوالي عشرة آلاف مواطن. أذكر أننا استخدمنا مكبرات الصوت التي وضعناها على سطح عيادة أحد الاطباء في الموقع، والخطباء الذين صعدوا تباعا لإلقاء خطبهم .. منهم بهجت أبو غربية وعبد المحسن أبو ميزر. أما أنا فقد القيت خطبة قصيرة رغم أن ذلك لم يكن في نيتي، ولكني قررت ذلك بعد أن وضع أحد الشباب من القوميين في يدي "صُرَّةَ" تراب وقال: هذا من تراب بلدي .. من اللد. صعدت الى المنصة عندما سنحت لي الفرصة، بسملت ثم فتحت " الصرة "، تركت التراب ينساب على يدي الاخرى .. الكل صامت، وبحركة عفوية مسحت وجهي بحفنة التراب هذه، وقلت

Digitized by Birzeit University Library

موجها كلامي للجمهور: يا اخوان هذا التراب غال علينا لانه من منطقة اللد، من ارضنا الحبيبة. استغرقت كلمتي عشر دقائق لكنها كانت عاطفية ومؤثرة، في حين تميزت الخطابة في ذلك الوقت بالحماسة والصراخ والتهديد والوعيد والتصفيق الحاد. لذلك كنت متميزا عن غيري في هذا الحشد الجاهيري، حتى انني كنت الوحيد الذي حُمِلَ على الاكتاف عندما تركنا الموقع واتجهنا نحو بيت الدكتورحسين فخري الخالدي في طريق عين السلطان. ودخلنا عنده وفدا ممثلا عن المتظاهرين وطلبنا منه الاستقالة.

بعد هذه الحادثة، أصبح نشاطي السياسي أكثر وضوحا، وبدأت المخابرات الاردنية تراقب تحركاتي. وكنت على علم بذلك لان أحد المخبرين برتبة شاويش، كان يودني كثيرا ويخبرني بما يدور حولي في جهاز المخابرات الاردني، وينبهني لأشياء كثيرة.

وعن الإعتقال الأول يقول متذكرا:

في احدى المرات ابلغني الشاويش أن مجموعة من جهاز المخابرات ستحضر للسؤال عني فقط. ولم يدر صديقي هذا أن الأمر أكبر من ذلك بكثير. كنت يومها قد استلمت مجموعة مناشير (بيانات) لحركة القوميين من زوجة صديق لي تبين في النهاية انه عميل للمخابرات الاردنية ودخيل على حركة القوميين العرب. وضعت بنفسها المناشير في الجارور الثاني على يمين مكتبي في العيادة. وكنت طلبت منها ذلك لأنني صعدت الى منزلي للرد على الهاتف. سَجّلَتْ المرأة في سجلاتي على انها مريضة زارتني للكشف الطبي.

في مساء ذلك اليوم كنت في قهوة عبده حيث يتجمع الشباب من مختلف الفئات السياسية، قوميين وبعثيين وشيوعيين واخوان مسلمين، يتحدثون في شؤون البلد. وقد تشكلت حينها لجنة قومية برئاسة احد القوميين كنت عضوا فيها. وكنت قد بدأت بتوزيع احد أعداد " الثلر ". طُلِبتُ للمستشفى لحالة طارئة

Digitized by Birzeit University Library

وعلى مدخل المستشفى صادفت الدكتور داوود الحسيني الذي بادر الحديث مستغربا ساخرا:

اراك ما زلت خارج قضبان السجن.

اجبته: لماذا هذا الفأل السيء يادكتور.

قال: لا تهتم، كنت أمزح معك، فأنت تعلم كم أحبك!!

في نفس الليلة، حضرت مجموعة من " المخابرات " الى منزلي وفتشوه تفتيشا دقيقا. لم أفكر بالهرب لأنني كنت مصابا بـ "الديزنطاريا". في نهاية جولة التفتيش، جلس الضابط قرب مكتبي وفتح الجارور الثاني الى اليمين. حمل المناشير بيده وقال: أوف، انهم حوالي ٢٠٠ منشور .... حوالي ٢٠٠ منشور، هذه العبارة بقيت عالقة في ذهني. اعتقلت في غرفة بمركز الشرطة، كنت مرهقا من شدة المرض. أحْضِرَ الدكتور نبيه معمر ليشرف على علاجي. كان جراحا في مستشفى الهوسبيس، وجوده في اريحا كان مصادفة. بعد يومين شعرت بتحسن، ونقلت الى سجن السلط وُضعت في غرفة التقيت فيها بالدكتور صبحي غوشة .. كان قد اعتقل في القدس، والدكتور وديع حداد، وسجين من عائلة شَنّك وآخر من عائلة مطر.

أفراد الشرطة المشرفين على السجن كانوا من منطقة أريحا، عرفوني جيدا لأنني أشرفت أحيانا على علاج اسرهم. لذلك عاملوني معاملة جيدة، لكن المكان كان قذرا للغاية. نُقلنا لغرفة كبيرة حيث جُمِعنا مع اصحاب القضايا المدنية (لصوص وقطاع طرق و ....). الحالة كانت مزرية، انتظرنا ببالغ الشوق بزوغ صباح اليوم الثاني. في اليوم التالي لم تكن الحال أحسن، فقد حضر الضابط الذي أشرف على اعتقالنا وهو شركسي، وأمر باحضار ماكنة " جز " صوف الخراف وبدأوا بحلق رؤوسنا. أذكر أنهم بدأوا بالدكتور صبحي. عندما وصلني الدور رفضت الانصياع للأوامر محتجا بأن الماكنة ممكن ان تكون حاملة للمرض، وطلبت أن تغمر بالكاز قبل أن توضع على رأسي. قلت ذلك بحضور الضابط المسؤول الذي أشار بأنه سيقوم بالمهمة، وقد أجبته حينها « لي الشرف أن يقوم ضابط المركز بحلاقة رأسي ». وفعلا غمر الماكنة بالكاز ثم بدأ الحلاقة، لكنه

Digitized by Birzeit University Library

لم يكملها حيث طلب من احد معاونيه ان يتم حلاقتي. ويبدو أن موقفي هذا أثار غيظ الضابط، فقد أُمر بجلدي. نُقِلتُ الى غرفة منعزلة، ورُبطت " الفلقة " على قدمي، وطلب مني الجندي المشرف على الضرب أن اصرخ عاليا بينما هو يضرب يده على فخذه.

الدكتور وديع حداد كان في الغرفة المجاورة يعاني من شدة الالم بسبب ما ناله من الضرب المبرح، رغم ان صلته كانت اقوى بأفراد الشرطة في المركز، وذلك بسبب قربه منهم في موقع عمله في مخيم الكرامة. فقد أشيع بين المساجين والعاملين في المركز بانه عميل اسرائيلي، الامر الذي أثار نقمة الموجودين عليه، سواء المساجين أو أفراد الشرطة. عندما اتضح لي الامر، بينت الحقيقة للشرطي الذي انقذني من " العلقة " وقلت له بأن وديع حداد ليس عميلا لإسرائيل، بل على العكس تماما، فهو عضو نشيط في حركة القوميين وأنا على صلة قوية به، فكثيرا ما كان يقطع النهر وينزل في بيتي. وأوضحت بأن ما يقال مجرد إشاعة مغرضة للنيل منه. انتهى هذا الموضوع تماما، وعاد لهذا الانسان النزيه احترامه بين نزلاء السجن والعاملين فيه.

بعد ثلاثة ايام عصيبة أمضيناها في سجن السلط، نُقلنا أنا والدكتور صبحي الى سجن المحطة في عمان. وهناك، الضابط المسؤول كان من عائلة الرفاعي من إربد. كان صديقا لمُعْتَقَلَيْن معنا .. نزار جردانة وعلي مانغو، وهما من الأثرياء. اعتقلا لأنهما عضوين في حركة القوميين العرب منذ كانا معنا في بيروت. أدخلونا لغرفة رقم ٢٨.. أول غرفة الى اليسار. وجدنا هناك مجموعة الضباط الوطنيين (الضابط أبو نوار وجعفر الشامي وغيرهم ...). تعرفنا على الجميع. حضر جندي ومعه أحد " الوردانية "، وهو سجين يقوم بخدمة باقي المساجين. سأل عني وعن الدكتور صبحي. اقتربت منه فاذا هو حسان قرش .. من اصدقائي في القدس. كان يقضي حكما مؤبدا بسبب قتله شقيقته (حادث شرف). كان قويا "مربي هيبة" بين المساجين. قال لنا: جهزوا أنفسكم للحمام. قلت له: ولكن ليس لدينا ملابس، ونحن في ملابسنا التي تراها منذ اسبوع،

Digitized by Birzeit University Library

جواربنا "عَفّنت". قال: سنحضر لكم كل شيء، ولكن الآن اذهبوا للحمامات فهي جاهزة. فعلا حظينا بحمام ساخن. وفروا لنا ماكنات حلاقة وملابس. رتبنا انفسنا وما أن فرغنا من ذلك حتى وجدنا العشاء بانتظارنا. وقد تبين لنا فيما بعد أن كل التسهيلات التي تمتعنا بها كانت بالتنسيق مع مدير السجن الذي ينتمي لعائلة الرفاعي. وبقينا هناك بانتظار المحاكمة.

في شهر رمضان من نفس العام بدأت المحاكمة. وقد استغرقت سبع جلسات. كان محظورا علينا اختيار محامينا لأن المحكمة " عسكرية أولى ". القاضي كان فلسطينيا من عائلة البرغوثي واسمه عبد الكريم. حضر الجلسة الأولى أخي روحي وكان أمين القدس، المرحوم أخي يوسف، وصهري عادل شرف. قُرِئت لائحة الاتهام، كانت باختصار محاولة قلب نظام الحكم. المدعي العام العسكري طلب تنفيذ حكم الإعدام بحقنا. بدأت الجلسة وبدأ عرض الشهود.. وكانوا كُثُر. طلبوا قائد المنطقة الوسطى للشهادة، كان الضابط الشركسي، باعتباره حضر جلسات التحقيق معنا. وديع حداد قال للقاضي: ضربونا وحصلوا على الإفادات بالقوة. لكن القاضي لم يقتنع، فلا آثار للضرب على جسمه. كيف يمكن أن تظهر آثار الضرب بعد مرور شهرين على التحقيق ؟

قلت موجها حديثي للضابط الشركسي: يا حضرة الضابط، أحلفك بشرفك العسكري أن تقول الحق . هل ضربتنا جميعا؟

أجابني بشكل عفوي: لا ليس جميعكم!!.

قلت: اذا الضرب حصل، وانت حلفت يمينا بأنك لم تضرب أحدا، لذلك أنت كاذب.

على أثر هذا الحوار أمر القاضي بالغاء جميع الإفادات السابقة، على أن تُؤخذ مرة أخرى داخل المحكمة.

بدأ القاضي باستجوابنا مباشرة. وصلني الدور ...

قال: هناك كمية من المناشير ضُبطت في عيادتك، فما قولك.

قلت: هذه المناشير مدسوسة.

قال: كيف ولماذا ؟

Digitized by Birzeit University Library

قلت: الضابط المسؤول عن عملية التفتيش، قام بتفتيش البيت كله في الطابق العلوي، ثم نزل الى العيادة وفتشها تفتيشا دقيقا أيضا، وفتح جوارير المكتب جميعها باستثناء الذي يحتوي على المناشير. لكنه بعد أن أنهى عملية التفتيش وجلس على مكتبي، فتح الجارور المذكور قائلا هذا آخر مكان أفتشه!! رفع المناشير بيده وقال: حوالي ملتي منشور يا دكتور أمين ؟! مسألة أخرى سيدي القاضي. إذا كنت فعلا قد وضعت المناشير في الجارور فلا بد أن تكون بصماتي على الورقة الأولى، لذلك أطالب بمقارنة بصماتي مع التي على الورق. سيدي .. بيتي في الطابق العلوي، وعيادتي في الطابق السفلي. آخر شخص دخل عيادتي كانت امرأة واسمها "فلانة"، وقد قمت بالكشف عليها طبيا، وهي مسجلة في كشف المرضى عندي. أثناء وجودها في العيادة، تركتها لأجيب على الهاتف في منزلي. وبعد خروج المرأة من العيادة لم أتفحص الجوارير، ولا حتى فتحت العيادة، بل ذهبت الى المستشفى. وعند عودتي في المساء، حضر الضابط وجماعته وقاموا باعتقالي.

وكانوا قد صادروا بعض الكتب من منزلي أثناء عملية التفتيش. منهم كتاب من تأليف بهجت أبو غربية، وآخر لكاتب سوري بعنوان " الحرب الشعبية ". الضابط عندما سجل المستمسكات، كتب الحرب الشيوعية بدلا من الحرب الشعبية. والشيوعية محظورة في الاردن.

قال القاضي: ولكن عندك كتابان ممنوعان. وهما كذا وكذا.. .

قلت: كتاب أبو غربية معروض في السوق وهو ليس ممنوعا. أما كتاب الحرب الشيوعية، فلم أسمع به ولا أعتقد أن هناك كتابا بمثل هذا الإسم.

قال: بعد غد سيحل أول ايام عيد الفطر. اذهب لعائلتك فهم بانتظارك الآن. ادفع ٥٠ دينارا غرامة على حيازتك كتاب الحرب الشيوعية، ثم اذهب لبيتك.

أخلي سبيلنا. وكنت الوحيد من بين الذين أطلق سراحهم، الذي دفع غرامة. دفعتها بسبب حيازة كتاب غير موجود، على الأقل .. عندي!

Digitized by Birzeit University Library

الأمور بالنسبة لظروف اعتقالي اتضحت أكثر لاحقا. فقد تبين أن زوج المرأة التي أحضرت لي المناشير، كان قيد الإعتقال، حيث رضخ للضغوط التي مارسها عليه المحققون، وقام بترتيب الكمين الذي وقعت فيه. وكان هذا الحدث جزءا من سلسلة أعمال قامت بها السلطات الاردنية للحيلولة دون اتساع نشاط حركة القوميين العرب، التي اصبحت تتمتع بنفوذ أكبر وبتأثير اوسع في اوساط الجماهير خصوصا في اريحا حيث كنت اعمل، وفي القدس حيث يعمل الدكتور صبحي غوشة بالتعاون معي.

خلال وجودي في المعتقل كانت زوجتي وابنتي مها في القدس، حيث رزقت بطفلي الثاني.

خرجنا من السجن. أمضيت أيام العيد مع عائلتي في القدس، ثم عدت الى أريحا حيث فُرضت علي الإقامة الجبرية بعد مضي أسبوع على إطلاق سراحي. ولم ينته الأمر عند هذا الحد فقد وجدت طبيبا من عائلة النحوي يشغل وظيفتي في وكالة الغوث. مُنعت من العمل في الدوائر الرسمية سواء في الوكالة أو في الحكومة. حصلت على مكافأتي عن مدة العمل وتفرغت لعيادتي الخاصة. حمدت الله لأنني تركت الوكالة، فقد تحسنت أوضاعي المالية بسبب تواجد السعوديين الكثيف في المنطقة. قائد منطقة القدس في تلك الفترة كان من عائلة الجلاد، وقد جمعته وأخي روحي علاقة صداقة، مما يَسّر لي الحصول على إذن بزيارة عائلتي في القدس مرة كل اسبوع. انتهزت هذه الفرصة لتأسيس جمعية المقاصد الخيرية وعياداتها بالتعاون مع الدكتور صبحي غوشة والدكتور سليم معتوق وهند الحسيني ونزهة درويش وغيرهم. بقيت على هذا الحال حوالي خمسة أشهر ثم اعتقلت مرة أخرى.

الإعتقال الثاني:

قبل الإعتقال الثاني خبرني صديقي الشاويش بـ " أنهم " قادمين من

Digitized by Birzeit University Library

عمان لإعتقالي بقيادة سلامة مهاوش. وكان مجرد ذكر اسمه يثير الفزع. كان مسؤولا عن سجن الزرقاء. وصلوا وبدأوا التفتيش. قلبوا البيت رأسا على عقب. لم يجدو شيئا. استدار الضابط نحوي.

قال: أين السلاح ؟

قلت: لا يوجد عندي.

قال: لا.. عندنا معلومات أنك استلمت ٤٠٠ قطعة سلاح. يجب أن تدلنا على مكانها.

قلت: لا يوجد.

قال: تفضل معي.

خرجنا من البيت. قبل أن نصل الى الشاحنة سألته عن اسمه، رغم أنني كنت على علم مسبق به. ولكني سألته لأتأكد، فكل من يدخل سجنه لا يرى النور أبدا. أجابني وقال: مهاوش. أستدرت نحو زوجتي وقلت لها: خذي مها وسمير واذهبي بهما الى القدس، وابلغي العائلة بكل شيء.

عندما اقتربنا من الشاحنة، سألني الضابط ماذا يكون لي روحي الخطيب ؟

قلت: أخي.

قال: روحي الخطيب رجل يبني الدولة والوطن بينما أنتم تهدموه.

قلت: كلانا بَنّاء ولكن كل في مجاله.

أغضبته عبارتي الأخيرة. أمر على أثرها بتكبيل يدي وقدمي بالسلاسل. كُبّلتُ ورُفعت الى القسم الخلفي من الشاحنة ورُبطت واقفا، وكانت الرائحة المنتشرة تدل على أن الشاحنة تستخدم لنقل الدواب. طلب الضابط من معاونيه نقلي مباشرة الى سجن الزرقاء وعدم التوقف في عمان.

علمت فيما بعد أن الضابط سلامة مهاوش كان قد تلقى مساعدات من أخي روحي للحصول على قروض مالية لتمويل علاج ابنه المصاب بشلل الأطفال. هذا الأمر انعكس علي داخل السجن بشكل ملحوظ ولكن بطريقة غير مباشرة. على

Digitized by Birzeit University Library

سبيل المثال كان المحققون في سجن الزرقاء من القوميين السوريين، أتباع انطون سعادة. وهؤلاء كانوا يبغضون أعضاء حركة القوميين العرب، وينتهزون فرصة وقوع قومي عربي بين أيديهم لإيقاع الأذى به، ولإذلاله. الضابط مهاوش منعهم جميعا من الإقتراب مني أو التحقيق معي إلا بوجوده.

في سجن الزرقاء قام ضابطان شركسيان في إحدى الليالي بدفع أحد الجنود الشباب ، وهو من السلط، لشرب الخمر حتى الثمالة. ثم قاما باغتصابه. عندما صحي الجندي من سكرته ورأى حاله، تضايق كثيرا. في صباح اليوم التالي عبأ بندقيته، وعندما بدأت التمارين العسكرية الصباحية، أطلق النار على الضابطان الشركسيان، فقتل أحدهما وأصاب الآخر. أعتقل هذا الجندي. الضابط سلامة مهاوش كان متعاطفا معه، بالإضافة الى أن العرب في الجيش الأردني كانوا لا يحبون الشراكسة، لذلك ترك له حرية التنقل داخل أسوار السجن.

وُضع الجندي رهن المحاكمة، لكنه ادعى الجنون، وقال أن نوبة جنون أصابته عندما قام الضابطان بفعلتهم معه، وأنه رغما عنه وجد نفسه يطلق النار عليهما. لكنه كان بحاجة لتقرير طبي حتى يثبت ذلك. ولا يوجد غير مستشفى الدهيشة للأمراض العقلية يصدر مثل هذه التقارير الاختصاصية. وكان تحت إدارة الدكتور اللبان وهو لبناني متزوج من ابنة الدكتور محمود الدجاني، وأيضا عضو في حركة القوميين.

الجندي المعتقل علم بأنني من القوميين. كان دائما يحضر لي الفواكه والخضار الطازجة مما يحضره له أهله. لم أعرف السبب في البداية. وكنت إذا سألته عن سر هذا الاهتمام، اكتفى بالقول « سلامة مهاوش موصيني عليك »، الى أن صرح لي بالحقيقة بعد أن توطدت علاقته معي. فقد عرض علي الإستمرار في خدمتي طالما بقيت في السجن مقابل أن اكتب مكتوبا للدكتور اللبان، أطلب منه إجراء فحص له، وصياغة تقرير يكون مفاده أنه مختل نفسيا. وأكد لي أن كل ذلك سيجري بموافقة الضابط سلامة مهاوش. سألته عن السبب، شرح

Digitized by Birzeit University Library

قصته وقال أن قرارالمحكمة متوقف على مثل هذا التقرير. وافقت ولكن بشرط ضمان عدم تعرض الدكتور اللبان لأي إشكالات جانبية لمجرد أن هناك علاقة تربطه بي.

كتبت الرسالة، وحصل الجندي الشاب على التقرير المطلوب ... وعلى البراءة أيضا. أخلي سبيله مباشرة بعد المحاكمة، وبعد أسبوع زارني مصطحبا معه مجموعة سلال مملوءة بالخضار والفواكه.

لم يحققوا معي إلا مرتين في سجن الزرقاء. أخي روحي طلب إذنا لزيارتي، وبعد طول عناء حضر هو وصهري الى السجن. وُضعنا في غرفة لوحدنا. كان الباب مواربا بحيث استطعنا رؤية أحد المساجين بصحبة مجموعة من الجنود يوسعونه ضربا، ويجرونه على الأرض .. " هلكوه ". بعد انتهاء هذا المشهد التفت أخي روحي نحوي وطلب مني راجيا أن أعلمهما بالحقيقة حتى يتمكنا من مساعدتي . قلت لهم بأنني على استعداد لتوقيع إفادتي "على بياض". وقلت: فليحضروا كمية من الأسلحة وسأعترف بأنني استلمتها من جورج حبش. قال: لا تسخر، فقط دلنا على موقع الأسلحة. قلت: والله لا يوجد.

في الواقع لم أذكر الا الحقيقة، فلا علم لي بأي كميات أسلحة. ولكن يبدو أن محبة المواطنين في اريحا لأمين الخطيب دفعتهم عن غير عمد لنشر مثل هذه الشائعة. فربما أكون قد تحدثت أمامهم في إحدى المناسبات عن ضرورة التسلح، وصار الموضوع وكأنه تحقق.

بعد فترة بسيطة أصبت بالريقان، نقلت على أثرها الى سجن " القشلة " في باب الخليل بالقدس. كان " عبد العال " مدير السجن يشرب الخمر كثيرا. مكثت هناك ثلاثة أيام ثم نُقلت الى مستشفى الهوسبيس للعلاج. المرحوم الدكتور يعقوب نزهة كان مدير صحة المنطقة. وأشرف على علاجي في المستشفى كل من الدكتور المرحوم رشيد النشاشيبي، والدكتور راسم الخيري،

Digitized by Birzeit University Library

والدكتور ابراهيم طليل. غرفتي كانت في الطابق الأول، تخضع للحراسة. لكن أموري هناك إجمالا كانت جيدة لأن الموظفين يعرفونني جيدا، فأنا أصلا من مدينة القدس.

تدخل عدة أشخاص في قضيتي، ومنهم حسن الكاتب، محافظ القدس حينها الذي نصحني بصياغة مذكرة أؤيد فيها الملك، وأبدي استعدادي لخدمته باخلاص في المجال الطبي. كتبت المذكرة دون الإشارة لحركة القوميين حسب اتفاقي مع حسن الكاتب. في الوقت الذي كانت كتب الإستنكار والتنديد ضد الحركات المعادية للنظام في أوجها.

خرجت من السجن، وفتحت عيادتي في القدس عام ١٩٥٨ في مبنى دير الأرمن قرب مستشفى الهوسبيس، الذي كان قيد التجهيز أثناء وجودي في المستشفى حيث شاهدته وأعجبني موقعه. في تلك الفترة توالت الضربات المفاجئة للحركات السياسية المختلفة .. البعثيون ثم حركة القوميين التي تلقت ضربة قاصمة عندما اعتقل أحد الأعضاء ومعه قائمة تضم ٨٤ اسما لكوادر القوميين، الذين اعتقلوا جميعهم لاحقا.

وعن التفرغ للنشاط الإجتماعي يقول:

رغم الإنهيارات المتلاحقة لمختلف الحركات السياسية، لم تفتر عزيمتي، لأنني ما زلت أتمتع بطاقاتي النفسية والجسدية، ويتملكني دافع قوي لخدمة بلدي وشعبي. لكن الظروف الجديدة جعلت الإستمرار في الأساليب القديمة ضربا من الإستحالة، خصوصا وأني لم أفكر أبدا بالإبتعاد عن وطني وأهلي. لذلك فضلت الإلتجاء الى النشاط الإجتماعي، علما بانني أمارسه منذ فترة طويلة. ولكن انقطاعي عن النشاط السياسي أعطاني الفرصة للتفرغ للعمل الخيري التطوعي.

Digitized by Birzeit University Library

كنا في عام ١٩٥٤ قد أسسنا جمعية المقاصد الخيرية، وقد انتظمت للعمل عام ١٩٥٥. شكلت هذه الجمعية انطلاقتي الحقيقية في العمل الإجتماعي. في البداية كانت عبارة عن مجموعة من المستوصفات الطبية الموزعة على عدة مناطق: مستوصف البلدة القديمة، عام ١٩٥٥. بالقرب من باب السلسلة، وتطل على منزل الحاج أمين الحسيني في موقع " المؤتمر الإسلامي ". مستوصف في الرام، شمالي القدس، عام ١٩٥٧. ولاحقا أقيم مستوصف في مبنى الغرفة التجارية بالقدس، عام ١٩٦٠، ومستوصف في صور باهر، جنوبي القدس، عام ١٩٦٥، ومستوصف في أبو ديس، شرقي القدس، عام ١٩٦٥.

في أواخر الخمسينات التحقت بجمعية الهلال الأحمر الأردني برئاسة الدكتور سليم معتوق. كان مركزها في البلدة القديمة، خلف مستشفى الهوسبيس، في دار الدويك، أول "زقاق البوس". في موقعها الآن يوجد مدرسة النهضة، وهي تابعة للأوقاف.

كانت الجمعية تتكون من مستشفى ولادة يقوم أيضا باجراء بعض العمليات الجراحية النسائية البسيطة. لم يكن في المستشفى جراحة نسائية بالمعنى الدقيق. عشر أسرة وبعض الخدمات البسيطة. في أوائل السبعينات انتقل الى موقعه الحالي (عمارة المحافظة سابقا) في بيت الإمام قرب فندق "ريتس".

رزقت بخالد طفلي الثالث عام ١٩٥٩. وهو العام الذي استلمت فيه عملي في مستشفى "سبافورد للأطفال" في حارة السعدية بالبلدة القديمة. بقيت فيه لمدة ٤ سنوات، تعاونت خلالها مع المرحوم الدكتور محمود الدجاني. وقد تحسنت حالتي المادية كثيرا لأنني عملت في المستشفى وعيادَتَيْ المقاصد بالإضافة الى عيادتي الخاصة. حتى أنني تمكنت من شراء سيارة.

في أوائل الستينات انتُخِبتُ عضوا في مجلس نقابة الأطباء الأردنيين، ثم

Digitized by Birzeit University Library

رئيسا لفرع النقابة في القدس. تعاونت في البداية مع الدكتور وليد قمحاوي، نقيب الأطباء حينها، ومن بعده الدكتور البسطامي.

عام ١٩٦٢ جرت انتخابات للهيئة الإدارية في جمعية الهلال الأحمر. اشترك فيها معي الدكتور صبحي غوشة الذي كان على خلاف بسيط معي، بحكم التنافس الضمني الذي صاحب علاقتنا على اختلاف مراحلها. النجاح كان من نصيبي في هذه الإنتخابات.

بعد فترة وجيزة دخلنا في جولة انتخابية تنافسية أخرى. هذه المرة على مستوى اتحاد الجمعيات الخيرية لمدينة القدس. اشتركت أنا عن جمعية الهلال الأحمر بينما هو اشترك عن جمعية المقاصد. نجحت مرة أخرى. أنتخبت أمين سر الهيئة الإدارية. السيدة أمينة الحسيني زوجة الدكتور محمد نقيب الحسيني (طبيب أشعة) كانت رئيسة الإتحاد. وهي من سيدات مجتمعنا النشيطات اجتماعيا وسياسيا. كان لها ميول واضحة للقوميين العرب، كما كان ذلك واضحا لدى الست هند الحسيني مؤسسة دار الطفل العربي.

" حملة معونة الشتاء " كانت من اهم نشاطات الإتحاد عندما أصبحت عضوا فيه. في هذه الحملة جمعنا المؤن والملابس ووزعناها على الفقراء باشراف لجنة مكونة من ممثلين عن بلدية القدس أو أمانة القدس كما كانت تدعى، والمحافظة، والتربية والتعليم، والشؤون الإجتماعية، والشرطة. سكرتير هذه اللجنة كان ممثل الإتحاد. السيدة أمينة الحسيني رئيسة الإتحاد رغبت برئاسة هذه اللجنة. ولكن رغبتها تعارضت مع نظام اللجنة ونظامها الداخلي، الأمر الذي سبب خلافا شديدا بيننا. فرئيس اللجنة المذكورة يجب أن يكون أمين سر الإتحاد حسب النظام. وحتى نلبي رغبتها يجب الحصول على موافقة كافة أعضاء اللجنة. هذا الموضوع أثر عليها لدرجة أنها تركت الإتحاد نهائيا. وانتخبت بعدها لرئاسة الإتحاد، وبقيت رئيسا للإتحاد وبقيت الهيئة الإدارية كما هي لفترة طويلة (يعاد انتخابي كل سنتين بالتزكية)، وذلك لأن الحاكم

Digitized by Birzeit University Library

العسكري الأردني منع سكان القدس من إجراء أي انتخابات وفق القانون الإسرائيلي. ولكننا مؤخرا وانسجاما مع الظروف الجديدة خصوصا فيما يتعلق بـ " فك الإرتباط "، أجرينا انتخابات للهيئة الإدارية، وأصبحت تضم ١٤ عضوا وتشرف على ١٢٠ جمعية خيرية في « محافظة القدس » التي تشمل اريحا، بيت لحم، بيت ساحور، بيت جالا، رام الله والبيرة والقضاء، حتى بيت فجار في الجنوب.

كان الإتحاد العام الأردني للجمعيات الخيرية ومركزه عمان، يضم مندوبين لجميع اتحادات الجمعيات الخيرية في الضفتين الشرقية والغربية. اجتماعاته الدورية كانت تعقد مرة أو مرتين بالشهر. الجلسات غالبا ما كانت تجري مساء يوم خميس. كان المحامي ضيف الله الحمود أول رئيس للإتحاد، لكنه ترك بعد أن شغل منصبا حكوميا. أنتخب بعده المرحوم المحامي عبد الخالق يغمور وهو من سكان الخليل المبعدين الى عمان. وقد ساعدنا كثيرا، أذكر أنه رتب لنا لقاءً مع رئيس الوزراء الأردني حينها مضر بدران لعرض مطالبنا حول زيادة مخصصات الجمعيات الخيرية في الضفة الغربية. وللحقيقة لاقينا تجاوبا ملموسا من رئيس الوزراء الأردني. توفي عبد الخالق يغمور، وانتخب بعده عبدالله الخطيب الذي استمر في رعاية شؤون الجمعيات الخيرية في الضفة الغربية حتى تنفيذ قرار فك الإرتباط الإداري بين الأردن وفلسطين. حيث تحولت لجنة التنسيق بين اتحادات الجمعيات الخيرية الثلاثة في القدس ونابلس والخليل الى الإتحاد العام الفلسطيني للجمعيات الخيرية. وقد وصلت ميزانيته لعام ١٩٩٢ الى ٣٥٠ الف دينارا اردنيا، علما بأنها عام ١٩٦٧ كانت ٩٨٠ دينارا أردنيا فقط.

عام ١٩٦٦ انتدبت من الإتحاد العام للجمعيات الخيرية في عمان لتمثيل الأردن في مؤتمر اجتماعي عقد في روما. طُلِبَ مني أن أقدم تقريرا "ورقة" حول مفهوم الدعارة وفقا للشريعة الإسلامية. ساعدني في تحضيرها ابن عمي المرحوم الشيخ جميل الخطيب. وضم الوفد سعاد الدجاني الحسيني وأنا

Digitized by Birzeit University Library

وزوجتي.

في المؤتمر، القيت كلمتي وأجبت على أسئلة الحضور. وبما أن معظم الحضور كان قد زار القدس مرة على الأقل، فما ذكرته عن المدينة وسكانها كان واقعيا بالنسبة لهم. وقد نال ما قدمت إعجاب القساوسة والرهبان الإيطاليين والفرنسيين. حتى أن اللجنة التنفيذية للمؤتمر اجتمعت وقررت إسناد رئاسة إحدى الجلسات الي رغم أنني لم أكن عضوا في هذه المؤسسة العالمية.

وفي عام ١٩٦٦ أيضا تم إنشاء المستشفى المعروف اليوم بمستشفى المقاصد الإسلامية. وقد وضعنا حجر الأساس بحضور وزير الصحة آنذاك الدكتور مجج. بعد حرب ١٩٦٧ مباشرة، لم يكن المستشفى مكتملا، لذلك قمنا باحضار أثاث و ١٥ سريرا كانوا موجودين في مستشفى للتوليد على طريق القدس ـ رام الله يعود لعصام الناظر ونبيه معمر. ووضعنا فيه بعض المرضى خوفا من أن تقوم سلطات الإحتلال بمصادرته.

وعن نادي الخريجين العرب حدثنا:

بعيد عودتي من الجامعة السورية عام ١٩٥٤. كان في القدس رابطة لخريجي الجامعة الأميركية في بيروت. أعضاؤها من فئة اجتماعية ثرية. أذكر منهم عيسى السلطي، آسيا حبش، صبحي غوشة، أرسنيان وأخوه، الأخوين كلبيان وهما طبيب وصيدلي، وآخر من عائلة العمد. هؤلاء وغيرهم من اعضاء الرابطة كانوا يرون انفسهم على قمة " السلم الإجتماعي ". كخريج من نفس الجامعة، دُعيت عدة مرات للأنتماء الى هذه الرابطة. في الحقيقة كنت من أشد المعارضين للإفتخار بالجامعة كمؤسسة أميركية، لأن سياسة الولايات المتحدة منذ الإعلان عن إقامة إسرائيل، تنسجم مع أطماع الحركة الصهيونية. وقد صرحت لأعضاء الرابطة بذلك، واضعا أمام أعينهم حقيقة أنه اصبح لدينا خريجين من مختلف الجامعات العربية، وأنه ليس لائقا أن ينتمي هؤلاء للهيئة

Digitized by Birzeit University Library

العامة للرابطة، بدون أن يكون لديهم حق الترشيح لانتخابات الهيئة الإدارية. وطلبت إنشاء رابطة تضم جميع الخريجين.

عام ١٩٦٤ خرجت بفكرة إنشاء نادي الخريجين العرب، وقد أيدني العديد في هذه الخطوة. شكلنا لجنة تأسيسية للنادي ضمت بالإضافة لي كل من هشام الخطيب (شغل منصب وزير الطاقة في الأردن)، الياس بلاطة (كان مدرسا في مدرسة المطران بالقدس)، الدكتور عبدالله صبري، المحامي خليل عيسى، المهندس منذر أبو السعود (عمل في شركة الكهرباء). كنا جميعا نجتمع في بيتي نتناقش حول السبل لتحقيق الفكرة على اكمل وجه. ووضعنا نظاما داخليا للنادي. وقد كان من الدقة والشمولية أن استوحت أغلب الاندية نُظمها الداخلية منه.

حصلنا على ترخيص إنشاء النادي عام ١٩٦٦. وكان طموحنا يرقى للمستويات السياسية. إذ اعتقدنا أنه عبر هذا النادي، وبالإشتراك مع التجمعات القومية في الأندية المشابهة المنتشرة في مختلف الأقطار العربية يمكن أن نحدث تغييرا في السلطة بطريقة ديمقراطية سلمية، على طريق تحقيق الوحدة العربية الشاملة. فالنادي سيضم - حسبما خططنا - أكبر عدد من خريجي الجامعات العاملين في دوائر الحكومة المختلفة، والوزارات، والشركات، والتجارة. كنا نرى فيه ناديا له ثقله في البلد، نستطيع من خلاله ترشيح أعضاء للبرلمان، وبالتالي تشكيل قاعدة شعبية ذات شأن من القوميين وغير القوميين.

افتتحنا النادي في شعفاط قرب بيت سبيتاني. وكان إنشاء مكتبة كبيرة أول نشاطاتنا. فقد أرسلنا كتبا الى جميع الجامعات العربية، طلبنا فيها تزويدنا بنسخ عن الكتب المطبوعة لحسابهم. الجامعة السورية كانت أول من تجاوب معنا حيث ارسلت ٤٠٠ كتابا. تلاها الجامعات المصرية والتونسية والعراقية والجامعة الأميركية في بيروت. أستطعنا أن نجمع خلال ستة أشهر حوالي ثلاثة آلاف كتاب.

Digitized by Birzeit University Library

حرب ١٩٦٧:

حرب ١٩٦٧ لم تكن مفاجئة لنا. فقد توقعنا هجوما اسرائيليا، وتحسبنا ذلك. حاولت القيادة العسكرية عندنا الاستعداد، نظمت ودربت، ولكن للأسف الشديد حجم الاستعداد كان ضئيلا جدا وغير واقعي. عقدت أجتماعات عديدة حول هذا الموضوع ضمت بالإضافة الى القيادة العسكرية، أمين القدس روحي الخطيب ومحافظها أنور الخطيب التميمي وعدد من المسؤولين والشخصيات المحلية. أذكر أنني حضرت أحد هذه الإجتماعات وتحاملت على الموجودين مشيرا الى أن عدم الإستعداد الجدي للحرب يعتبر تقصيرا لا يغتفر.

حالة من التوتر وعدم الثقة سادت قبيل الحرب، الأمر الذي دفع المواطنين لترتيب أنفسهم على مستوى الأحياء. نحن بدورنا في القسم الغربي لحي واد الجوز حتى حي الشيخ جراح، قمنا بتنظيم أمورنا في اجتماعات متتالية في فندق " الأورينت هاوس ". أجرينا تدريبات على الإسعافات الأولية، وجعلنا الطابق الأول من مدرسة دار الطفل مستشفى صغيرا، ووضعنا فيه كميات من الأدوية والمستلزمات الطبية. وحفرنا بين البيوت خنادقا لتأمين عملية نقل المؤن بين البيوت أثناء المعارك، ولجعل حركة حراسنا آمنة قدر الإمكان. وقررنا أن لا تكون منطقتنا عسكرية، فلا سلاح لدينا نقاتل به.

سرت شائعة قبل الحرب حول نية القوات الإسرائيلية استخدام قنابل النابالم الحارقة. دب الرعب في قلوب الناس وهاجر العديد خوفا. أما نحن، فقد جمعنا سكان منطقتنا، وطلبنا ممن عنده النية للهجرة أن يهاجر قبل بدء المعارك. وهددناهم بأننا سنقوم باطلاق النار على من يهاجر خلال المعارك. نجحت خطوتنا ولم يهاجر أحد من حينا.

اندلعت الحرب. المعارك في المحيط كانت خفيفة، باشتثناء الخط الأمامي

Digitized by Birzeit University Library

قرب بيت أنور نسيبة ومركز وكالة الغوث. بالتالي الإصابات كانت قليلة .. بعض الجرحى من الجنود الأردنيين والمقاتلين الفلسطينيين. أسعفناهم، ثم نقلناهم الى مستشفى الهوسبيس في البلدة القديمة، والمطلع في جبل الزيتون، بسيارة لدار الطفل سلمناها لعمر نسيبة (ابن أخت أنور نسيبة) الذي زودناه برداء ممرض لتسهيل مهمته. الدكتور صبحي غوشة تولى أمر القتلى ودفنهم.

كان من بين المصابين الذين قمت باسعافهم، محمود يعيش صاحب جريدة الشعب وابنته . بيته كان في نفس المبنى الذي اقيم فيه، في الطابق العلوي. كانت اصابتاهما متوسطتين، وقد اضطررت لإجراء عملية جراحية له على ضوء مصباح يعمل على خلايا كهربائية جافة " بطاريات "، لأن شبكة الكهرباء في المدينة كانت معطلة. الحمدالله، تكللت العملية بالنجاح. استغرقت الحرب ستة أيام، أمضينا بعدها اسبوعا كاملا في اسعاف الجرحى. بعد ذلك عدت الى عيادتي الخاصة حيث باشرت العمل من جديد في ظروف سياسية مختلفة.

تهريب الجنود الأردنيين كانت من المشاكل التي واجهتنا بعد انتهاء المعارك. فقد بقي عدد منهم بلباسهم العسكري في المدينة. قمنا بتغيير ملابسهم وهربناهم من باب المغاربة نحو الطريق الى عمان منتهزين حالة الفوضى التي تلت الحرب.

بعد مرور اسبوعين على انتهاء المعارك. كنت في العيادة المحاطة بسيارات محترقة جراء القصف الإسرائيلي للبلدة القديمة. دخل الى مكتبي ضابط اسرائيلي برفقة جنديين وبيده كيسا ورقيا مملوءا بالخضار والفواكه. استغربت وكذلك المرضى الذين صادف حضوره وجودهم في العيادة.

ابتسم وقال باللغة العربية: هل تذكرني ؟

قلت: لا.

قال: من المفروض أن تتذكرني لأنك قمت بمعروف معي قبل شهرين.

Digitized by Birzeit University Library

قلت مستغربا: أنا قمت بذلك؟!

قال: قبل شهرين في نيسان زرت مريضا يشكي من انفلونزا حادة في فندق الأهرام مقابل مستشفى الهوسبيس. وقد اجريت له الفحوص الطبية اللازمة ثم زودته بالأدوية التي يحتاجها مجانا، مشفقا لحالته البائسة. وتابع: حينها اعتقدتَ أنني أوروبيا، وها أنا أمامك الآن أقول بأنني كنت في مهمة استطلاع.

في أول الأمر رفضت الهدية علما بأن الخضار والفواكه كانتا مفقودتان بعيد الحرب. لكنه أصر قائلا: سيدكم محمد قبل الهدية. لم أجبه.. فتابع حديثه عارضا علي خدماته فيما أحتاج. اعطاني اسمه (لا أذكره الآن) ورقم تلفونه وعنوانه في مقره بفندق الإمبسادور في الشيخ جراح.

وأذكر أنه في بداية عام ١٩٦٧، أواخر شهر نيسان على وجه الخصوص، لاحظت ازدياد عدد الزوار الأجانب من " الهيبيين أو الهيبز " للبلاد. صرحت لمحافظ القدس أنور الخطيب ولأمينها روحي الخطيب بشكوكي وخوفي من أن يكون بينهم يهودا ، وطالبت بفحص وثائق سفرهم بدقة شديدة عند عبورهم البلاد. وقد كان غالبيتهم يصلون سوريا أو لبنان جواً، ويذهبون الى الأردن براً، ثم يعبرون جسر الملك حسين نحو القدس.

عام ١٩٦٨ أبعد أخي روحي الى عمان. وكان كل من الشيخ عبد الحميد السائح وكمال الدجاني والدكتور داوود الحسيني قد أبعدوا قبله.

بعد الإحتلال الإسرائيلي بحوالي سنة حدث انفجار في سينما " تسيون " في القدس الغربية. اتهمت إحسان البرناوي، وهي ممرضة عملت معي في إحدى عيادات المقاصد، وأختها فاطمة البرناوي بتنفيذ العملية - إحسان هربت الى عمان والتحقت في صفوف المقاومة الفلسطينية. أما فاطمة فقد اعتقلت وحكم عليها بالسجن لمدة عشر سنوات، وكذلك حكم على شريكهم الثالث الذي كان يلقب بالدكتور بنفس المدة. وكان معهم رابع من عائلة القراعين، جرح أثناء

Digitized by Birzeit University Library

قيامه بتنظيف مسدسه في بيته حيث انطلقت رصاصة أصابت رجله. نقلوه لبيتي، أسعفته ثم أعدناه لبيته على أن تشرف الممرضة التي تعمل معي على علاجه في منزله. لكن الجريح اعتقل بعد فترة بسيطة.

بعد اعتقال الجريح، توقعت حضور رجال المخابرات لأعتقالي بين لحظة وأخرى. وفعلا حضر ضابط كبير بالسن ومعه آخر من أصل سوري، اعتقلت ونقلت الى "المسكوبية". في غرفتي بالمعتقل كان معي رجلان أحدهما من عائلة جابر، كان يقرأ القرآن بصوت جميل جدا.

في التحقيق سألوني لماذا لم أخبرهم عندما عالجت الجريح. بررت ذلك بأنني أحافظ على سر المهنة. استمر اعتقالي لمدة ثلاثة أيام. ولم يمر سوى اسبوعين على إطلاق سراحي حتى استدعيت مرة أخرى للتحقيق، وبعد ثلاثة اشهر استدعيت مرة ثالثة واستمر الوضع هكذا حتى اندلاع الإنتفاضة، كلما يتغير ضابط كبير في "المسكوبية" أستدعى.

عام ١٩٧٠ توفي الرئيس المصري جمال عبد الناصر. تأثر العالم العربي كثيرا. في الأراضي المحتلة نظمنا مسيرات حزن ضخمة. بعيد وفاة عبد الناصر، توفيت والدتي عن عمر يناهز ٧٣ عاما. وقد قاست كثيرا بسبب اعتقالاتي المتكررة. عاشت عندي لأنني الوحيد من أبنائها الذي بقي في البلاد. وأقام عندي أيضا عماتي الإثنتين، وقد توفيتا كبيرتان، واحدة ١٠٤ سنوات والثانية جاوزت التسعين. وأختي فاطمة كانت عندي، مريضة منذ كانت في السادسة عشرة من عمرها، بمرض "التصلب اللويحي" الذي اضطرها لملازمة الفراش حتى وفاتها.

وفي أوائل السبعينات ولدت ابنتي الصغرى "جمانة". وكنت قد رزقت بـ"رنا" قبل حرب حزيران ١٩٦٧.

Digitized by Birzeit University Library

وعن مساعدات المعتقلين يقول:

من مهامي الإشراف على مساعدات المعتقلين. زرت المساجين خصوصا في سجني الرملة وعسقلان حيث التجمعات الكبيرة. كنت أذهب الى هذين السجنين حسب ترتيب مسبق مع دائرة السجون. وأود أن أسجل هنا أن علاقة جيدة ربطبتني ببعض إخواني السجناء وأنني أحتفظ برسائلهم. أذكر مرة أنني استدعيت الى "بيت ايل" لمقابلة مناحيم ميلسون قبل تشكيل الإدارة المدنية. وهناك جرى الحوار التالي:-

قال: اريد منك خدمة. وتابع بعد أن سألته عنها: أريد منك أن تذهب الى سجن عسقلان لأنهم مضربين حتى عن النظافة. ستذهب أنت والدكتور محمد سعيد كمال والدكتور جرار من جنين.

قلت: اختيارك للطبيبين الآخرين كان على اساس انهما موظفان حكوميان، فلماذا اخترتني انا؟

قال: لأن المعتقلين يحبونك ويثقون بك. لذلك اريد منك ان تقنعهم بحل اضرابهم.

سألته عن مطالبهم، عدد لي ثمانية مطالب.

قلت له: أذهب ولكن بعد أن تعدني بتحقيق جانب من مطالبهم على الأقل.

اتفقنا على الإستجابة الفورية لأربعة مطالب من ثمانية على أن، يناقش الباقي بعد فك الإضراب.

ذهبنا الى سجن عسقلان، وكنا هناك حوالي الساعة الحادية عشرة صباحا، وبقينا هناك حتى المساء. تناقشنا وتحاورنا مع الإخوة هناك، ثم تم الإعلان عن فك الإضراب. بعد أن انتهينا من الموضوع طلبت من ضابط السجن أن يعطينا ورقة تثبت وجودنا في السجن في الفترة التي أمضيناها هناك. لكنه رفض متذرعا بأن لاضرورة لذلك. وفي الطريق خلال عودتنا أوقفنا الجيش قبل "باب الواد" مشتبهين بنا، لأن قنبلة انفجرت قبل نصف ساعة في يافا. وسيارة منفذي العملية حسبما قيل تشبه سيارتنا. حققوا معنا، وأوقفونا لمدة نصف ساعة، المدة التي استغرقتهم للإتصال مع الأشخاص المعنيين للتأكد من أقوالنا.

Digitized by Birzeit University Library

نادي الخريجين بعد الإحتلال:

بعيد حرب حزيران لم نغادر منازلنا إلا للحاجات الضرورية. وهجرنا نادي الخريجين، الذي اقتحمه الأطفال وبعثروا محتوياته، حتى أننا وجدنا بعض الكتب مرمية على جوانب الشارع، الأبواب مكسورة، والمكان مسروق. حاولنا لملمة ما تبقى. استطعنا تجميع حوالي ٦٠٠ كتاب، لم نحاول زيادة عددها لأن النادي تعرض لظروف صعبة وأغلق عدة مرات، ولم نتمكن من إعادته للعمل إلا في عام ١٩٧٦ بموقع جديد بالقرب من مدرسة دار الأولاد (مكان الملتقى الفكري حاليا). مكثنا فترة ثم انتقلنا الى مقرنا الحالي في كرم المفتي أمام فندق شبرد.

واقع الإحتلال أثر على النادي، وغيّر ترتيب سلم أولوياته. في البداية كنا نجري الإجتماعات عقب كل حدث مهم في البلد ونتدارس كيفية مواجهته محليا كمحاولات اقتحام الحرم القدسي الشريف. فيما بعد توجهنا لدراسة قضية البطالة في مجتمعنا. فقد وجدنا أن العديد من الخريجين عاطلين عن العمل أو يعملون في مجالات بعيدة جدا عن تخصصاتهم. عرضنا الموقف على إخواننا في الخارج، الذين فضلوا مساعدة خريجينا خوفا من انسياقهم في سوق العمل الإسرائيلي، وذلك عن طريق أيجاد عمل لهم بالدرجة الأولى. في البداية صرفنا لكل خريج عاطل عن العمل سواء بدرجة البكالوريوس أو الدبلوم، مبلغ ١٠٠ دولار شهريا. وشمل المشروع خريجي الضفة والقطاع على السواء.

استمر مشروع مساعدة الخريجين أكثر من ثلاث سنوات. في السنة الأخيرة فكرنا باقتطاع دينار واحد من الخريجين الذين يتلقون المساعدات؛ وبما أن عددهم وصل العشرة آلاف مستفيد، يكون المبلغ المجموع عشرة آلاف دينار. وهذا مبلغ يكفي لإنشاء مصلحة إقتصادية صغيرة تضم عددا من الخريجين. وحسب هذه الخطة كان بالإمكان توفير مشروع لعدد من الخرجين

Digitized by Birzeit University Library

كل شهر. لكن هذا المشروع لم ير النور لإن مخصصات الخريجين تحولت منذ اندلاع الإنتفاضة للمحتاجين والمتضررين. وكنا نقتطع ٥ دنانير سنويا من كل مستفيد لمصاريف النادي ولتقوية المؤسسة وفروعها المنتشرة في نابلس والخليل وغزة.

نحن الآن بصدد إعادة العمل بالمشروع ولكن بصورة مختلفة. الخطوة الأولى إجراء إحصائية لعدد الخريجين في المناطق المحتلة وتصنيفهم حسب تخصصاتهم وأماكن سكناهم. هذه المعلومات يمكن استغلالها في أي تخطيط لاستحداث كليات جديدة، وعند إنشاء أي مصلحة إقتصادية يهتم أصحابها بأن تقوم مؤسستهم على أسس متينة وفق دراسات علمية وافية.

من ناحية أخرى، نحن في اتحاد الجمعيات الخيرية نعمل على تعريب مؤسساتنا بالكامل عن طريق تحضير الكوادر المناسبة بارسالهم لبعثات دراسية الى الخارج للتخصص في المجالات التي نحتاجها. على سبيل المثال، نستعين كثيرا بالخبرات الأجنبية في مجال رعاية المعاقين. لدينا النية الآن لإرسال بعض خريجي هذا الإختصاص لبعثات للخارج. حين عودتهم بشهادات عليا، سيكونون نواة لمؤسسات جديدة تخرج كوادر عربية متخصصة للعمل في مجال رعاية المعاقين. وهذا في الحقيقة ما قمنا به في الكلية العربية للمهن الطبية. ففي البداية كان حوالي ٩٠٪ من موظفيها من الأجانب. أرسلنا بعض خريجيها لبعثات دراسات عليا في الخارج. عاد هؤلاء وأصبحوا من مدرسي الكلية. وها هي المؤسسة عربية مئة بالمئة. وكذلك الأمر مع كلية العلوم في أبو ديس، فخرجيها مثلا من قسم الكمبيوتر يضاهون في كفاءتهم خريجي الجامعات في الدول المتقدمة، علما بأن مدرسيهم هم أيضا أرسلوا لبعثات دراسية للخارج ولنفس الهدف.

نحن بحاجة لكلية تدرس الزراعة. وقد فكرنا بانشائها فعلا. حاولنا الحصول على ترخيص عن طريق المشروع الإنشائي في أريحا لكننا لم ننجح.

Digitized by Birzeit University Library

حاولنا عن طريق جامعة النجاح، لم نوفق أيضا، لأن السلطات لم تسمح، رغم أنها أعطت مثل هذا الترخيص لمنطقة الخليل.

مشروع محو الأمية:

مشروع محو الأمية قديم منذ كنت عضوا في نادي الموظفين في أوائل الستينات. فتحنا عدة صفوف وبدأنا التعليم، لكن المشروع توقف بعد فترة قصيرة لسبب أو آخر لا أذكره. في عام ١٩٦٦ أعدنا تجربتنا مرة أخرى لكن عن طريق جمعية المقاصد الخيرية. فتحنا عدة صفوف لتعليم الكبار، لكن حرب ١٩٦٧ حالت دون استمرارنا.

عام ١٩٧٢، زارني خليل محشي، في نادي الخريجين، في موقعه القديم مكان الملتقى الفكري. كان يعمل في جامعة بيرزيت، وعائدا لتوه من عمان.

قال لي: لدي مجموعة كتب لتعليم الكبار. وتابع: نريد إحياء مشروع محو الأمية في المنطقة، ونحتاج لمساعدتك بطريقة أو أخرى.

قلت: ما هي المشكلة؟

قال: التمويل .. طباعة الكتب، تشكيل طاقم للتدريس، وتجهيز بعض الغرف بحيث تكون صالحة للتعليم.

لقد جاء عرضه منسجما مع تطلعاتي لمستقبل الإتحاد خصوصا وأن إمكانياتنا المالية كانت لابأس بها. عرضت المشروع على الهيئة الإدارية للإتحاد. تمت الموافقة وبدأ المشروع. أذكر أن تكلفة طباعة الكتب وصلت الألفي دينار. في البداية تعاونت معنا جامعة بير زيت في مجال تدريب معلمين ومعلمات على تعليم الكبار. نجح المشروع وتطور حيث تأسست في الجامعة دائرة خاصة لمحو الأمية في أوائل الثمانينات برئاسة هيام أبو غزالة.

توسع نشاط محو الأمية ليشمل مختلف المناطق في الضفة والقطاع. أنشأنا اللجنة العليا لمحو الأمية ضمت ممثلين عن خمس فئات، اتحاد الجمعيات

Digitized by Birzeit University Library

الخيرية لمنطقة القدس، واتحاد الجمعيات الخيرية لمنطقة نابلس، واتحاد الجمعيات الخيرية لمنطقة الخليل، وممثلين عن جامعة بير زيت وجمعيات غزة الخيرية. ووضعت هذه اللجنة نظاما داخليا خاصا. الحمدالله المشروع مازال يعمل حتى الآن، وقد وصل ذروته قبيل الإنتفاضة، حيث أصبح لدينا أكثر من ٣٠٠ صف في كل المناطق. وبسبب إجراءات التضييق التي تقوم بها السلطات منذ اندلاع الإنتفاضة، انخفض هذا الرقم الى ما بين ١٥٠ و ٢٠٠.

مشروع محو الأمية وفر لنا الفرصة للقيام بنشاطات أخرى. فمكان مثل هذا المشروع يكون حيث تنتشر الأمية ... في القرى. المنطقة الأكثر تضررا من الإحتلال، الذي دفع رجال القرية الفلسطينية وشبابها الى هجرة أراضيهم سعيا وراء أجرة مضمونة في نهاية كل شهر في المصانع الإسرائيلية. انتهزنا فرصة وجودنا في القرية وقمنا بحملات توعية بعد الظهر، حيث نستدعي شباب القرية الى جامعها. نشجعهم على العودة لاستغلال الأرض، خوفا عليها من "المصادرة"، ونحثهم عل إنشاء ناد يجمع شباب القرية ويهتم بتنفيذ الأعمال التطوعية في القرية على المستويين الفردي والجماعي حسب الحاجة والأولوية. نوفر لهم البذور والأشتال الزراعية ونحاول إقناعهم بتربية الدجاج والماشية، والاستفادة منها بالإستغناء عن شراء العديد من المواد الغذائية. كل ذلك قمنا به تحت عنوان «العودة الى الأرض». باختصار محو الأمية أعطانا الفرصة لإعادة الحياة الى القرية الفلسطينية. وفي الحقيقة فان روح التعاون منتشرة في مؤسساتنا الوطنية، فقد ساعدنا في نشاطاتنا في القرى طلاب وطالبات الجامعات والمعاهد العليا، خصوصا في موسم قطف الزيتون.

وعن طريق مشروع محو الأمية تعرفنا على حاجات القرى المختلفة. على سبيل المثال إذا رأينا أن في القرية حوالي ٤٠ طفلا يصطحبهم اباؤهم الى رياض الأطفال في القرى المجاورة، نقوم بتأسيس روضة أطفال في هذه القرية تجنيبا لأطفالها من مخاطر الطريق. على هذا المنوال أسسنا حوالي ٦٠ روضة أطفال خلال ١٥ عاما. وقد وفرت لنا روضات الأطفال هذه بالإضافة الى صفوف

Digitized by Birzeit University Library

محو الأمية الفرصة للتعرف على المرضى والمعاقين، وتقديم المساعدة المناسبة لهم.

وعن اتحاد الجمعيات تحت الإحتلال يذكر:

تم الغاء " حملة معونة الشتاء " بانحلال اللجنة المشرفة عليها .. فلا شرطة ولا محافظة ولا بلدية. تولى الإتحاد أمر تأمين المساعدات للفقراء والمحتاجين والمتضررين من الحرب. شكلنا بعد الحرب مباشرة لجنة لجمع النقود وشراء الخبز لتوزيعه في البلدة القديمة، أحياء الواد وباب السلسلة وباب حطة وحارة السعدية بالدرجة الأولى. لكن الظروف اختلفت وأصبحنا في الإتحاد بحاجة لمنهاج عمل خاص ومتميز يتعامل مع واقع الإحتلال. لذلك حولنا نشاطنا من مجرد تقديم مساعدات " احسان " الى عمل اجتماعي تنموي بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان. ففياب السلطة الوطنية القى على عاتقنا قدرا كبيرا من المسؤولية في تنظيم وتطوير الخدمات الإجتماعية والصحية، والتعليم. واستطاع الإتحاد خلال فترة خدمته الطويلة أن يكسب ثقة المواطنين.

استمر الإتحاد في تطوير أعماله شيئا فشيئا، وفي زيادة عدد جمعياته خصوصا في الريف الفلسطيني بسبب حاجته الملحة للخدمات. ووسع نشاطاته لتشمل التأهيل والإنتاج بالإضافة الى الحقول الإجتماعية والصحية والتعليمية. اهتم الإتحاد بتأمين مقاعد دراسية لكل أبنائنا وبناتنا. كما واهتم بتأمين الرعاية الصحية لكل مريض من مرضانا في جميع أنحاء الضفة الغربية والقطاع من خلال المراكز الطبية المنتشرة، عيادات ومستشفيات. ووضع الإتحاد خطة لتوسيع خدماته في محاولة لتعويض بعض ما تقدمه سلطة وطنية.

أسسنا جمعية بيت الرحمة الإسلامي، وهي عبارة عن بيت للمسنين القادرين على خدمة انفسهم بأنفسهم. أنشأنا هذه الجمعية لأنه لم يكن هناك جمعية إسلامية تعنى بشؤون المسنين، على غرار جمعية الملجأ الأرثوذوكسي

Digitized by Birzeit University Library

في العيزرية، الذي عملت فيه لمدة ١٣ سنة. أشرفت على صحة نزلائه. يرأس الجمعية الحاج حسن طهبوب، وأنا نائبه، بالإضافة الى عضوية الشيخ عكرمة صبري والحاج فخري الدقاق والمحامي ماهر عويضة و نزهة درويش والسيدة أم وجدي زوجة نهاد أبو غربية.

وشاركت في إنشاء جمعية المعاقين حركيا التي يرئسها أيضا الحاج حسن طهبوب. ومن أعضائها الدكتور عبدالله صبري والدكتور عدنان عرفة. وقد تمكنا أنا وعدنان الحسيني من إقناع الدكتور نجاح الحسيني ووالدته بتوفير مبنى يعود لهما مجانا للجمعية.

وساهمت بتأسيس جمعية الصحة النفسية برئاسة الدكتور محمد سعيد كمال. وعن طريق جمعيات الهلال الأحمر في الضفة الغربية وقطاع غزة خرجنا بفكرة تأسيس مدرسة للتمريض. تشكلت الهيئة التأسيسية من جمعية الهلال الأحمر في القدس وأصدقاء لهم. كانت النتيجة إنشاء جمعية الكلية العربية للمهن الطبية في البيرة. الكلية تدرس التمريض وعلوم المختبرات. فكرنا بانشاء كلية صحة عامة، إلا أننا لم ننجز شيئا حتى الآن رغم حصولنا على الترخيص وذلك لأسباب مادية.

المعهد العربي في أبو ديس أيضا جمعية خيرية. تطورت فيما بعد وضمت كلية للعلوم والتكنولوجيا. أُنتُخِبْتُ عضوا في مجلس أمنائها بعد إبعاد أخي روحي الى عمان عام ١٩٦٨ وما زلت حتى الآن. وجودي عضوا في مجلسي أمناء لكليتين علميتين هما كلية العلوم في أبو ديس والكلية العربية للمهن الطبية، دفعني لأكون من العاملين على إنشاء جامعة القدس. الفكرة في ذهني قديمة منذ إنشاء نادي الخريجين. ففي أوائل السبعينات طالبت في أحد المؤتمرات بفندق " الإمبسادور " بتأسيس جامعة القدس. لاقت الفكرة قبولا وتشجيعا كبيرين، لكن السلطات الإسرائيلية قاومت هذا المشروع بشدة لأنها لا تريد أن تقوم أي مؤسسة باسم « القدس ». بقيت هذه الفكرة عالقة في ذهني

Digitized by Birzeit University Library

حتى الآن، وما زلت أسعى لتوحيد الكليات المسجلة في جامعة القدس بشكل عملي. فهذه الكليات ما زالت مستقلة بمجالسها ومزانياتها رغم أنها تعتبر من كليات جامعة القدس. ويجب ان لا ننسى أن جامعة بيرزيت من الأعضاء الرواد في الإتحاد، وتلاها باقي الجامعات والكليات الجامعية المتوسطة.

اعتنى الإتحاد أيضا برياض الأطفال وأسس مركزا لتدريب معلمات رياض الأطفال بالتنسيق مع جامعة بيت لحم. وتكفل بمصاريف هذا المركز لمدة سنتين كاملتين، افتتحت الجامعة بعدها قسما يُخَرِّجُ معلمات لرياض الأطفال.

وهناك العديد من المستشفيات المسجلة في الإتحاد كجمعيات خيرية. فبالإضافة الى جمعية الهلال الأحمر والمقاصد، لدينا مستشفى للأطفال في الخليل، وجمعية التأهيل العربية في بيت لحم التي أقامت بناءً ضخما مؤخرا في بيت جالا، وجمعيات أصدقاء المريض، والعيادات المنتشرة في مختلف المناطق.

لدينا الآن العديد من جمعيات التأهيل. على سبيل المثال جمعية الرعاية بدأت أعمالها بتبني أطفال المعتقلين والشهداء، ثم تطورت نشاطاتها لتشمل الفقراء، وها هي الآن تضيف مشروعا لتأهيل الفتيات (حياكة وتطريز وتدبير منزلي) في البلدة القديمة لمدينة القدس لبرامجها، تحت اسم مركز السرايا.

تتجه النوايا حاليا لتكثيف النشاط الإجتماعي داخل البلدة القديمة. لدينا فيها ٤ جمعيات خيرية عاملة هي:- جمعية الأقصى، جمعية سيدة البشارة، جمعية حاملات الطيب ومشروع الرعاية، بالإضافة الى اللجان العاملة هناك كعيادة الخالدية الطبية والعيادة العمالية خلف موقع مستشفى الهوسبيس وعيادة الأطفال في حارة السعدية . لدينا النية لإقامة مركز اسعاف للطوارىء مع سيارة اسعاف مجنزرة لإنقاذ الحالات الطارئة قبل نقلها الى أحد المستشفيات، لأنه من الصعب جدا إقامة مستشفى كاملا داخل البلدة القديمة.

Digitized by Birzeit University Library

بعد رحلة طويلة نسبيا أستطيع أن أقول أننا في الإتحاد حققنا ٨٠٪ من خططنا التي وضعناها عام ١٩٧٧. أصبح لدينا مجالس خاصة بالتعليم ومؤسسات صحية جيدة علما بأن الرعاية الصحية امتدت للريف الفلسطيني. كان همنا أن نعتمد على أنفسنا في بناء جهاز خدماتنا. التعليم على سبيل المثال أصبح مستقلا أو يشارف على ذلك خصوصا في منطقة القدس. لدينا ١٤ مدرسة ثانوية، اثنتان منهم فقط حكوميتان، والباقي اما تابع للإتحاد أو لوكالة الغوث أو مدارس أهلية خاصة. أعمالنا ننفذها بصمت وبدون ضجة لضمان سيرها على الوجه الأكمل ومحاولة للقفز عن كل العراقيل التي ستواجهنا إذا رفعنا أصواتنا مهللين لما نقوم به.

وفيما يتعلق بالجمعيات الخيرية الأجنبية يقول:

الجمعيات الخيرية الأجنبية في بلادنا قديمة. تحصل على ترخيص عملها من السلطة الموجودة. قمنا بتعريب بعضها كجمعية شيشاير في بيت لحم وبيت جالا التي صارت تدعى المدرسة العربية. جمعية التأهيل العربية أيضا كانت مؤسسة أجنبية قمنا بتعريبها. يوجد طبعا مؤسسات أجنبية تعمل حتى الآن بصيغتها التأسيسية مثل جمعية الأراضي المقدسة في بيت لحم. ولكن مثل هذه الجمعية التي لها رصيد حساب بنكي في البنك العربي في عمان تحتاج الى تفويض موقع مني بصفتي رئيس الإتحاد العام للجمعيات الخيرية حتى يتمكنوا من سحب أموال من رصيدهم. وهناك جمعيات خيرية أجنبية تأسست خلال الإحتلال الإسرائيلي وعددها ١٢ جمعية حصلت على تراخيص عملها من السلطة القائمة مثل " الإغاثة الكاثوليكية " و " أنيرا " و " سي دي أف ". وهؤلاء يتعاونون معنا ويستشيروننا على الدوام. من ناحية أخرى، تربطنا علاقات قوية مع مؤسسات عربية / أجنبية، نحضر مؤتمراتهم، ونتلقى منهم المساعدات مثل صندوق القدس وصندوق الأراضي المقدسة.

Digitized by Birzeit University Library

بعد رحلة طويلة نسبيا أستطيع أن أقول أننا في الإتحاد حققنا ٨٠٪ من خططنا التي وضعناها عام ١٩٧٧. أصبح لدينا مجالس خاصة بالتعليم ومؤسسات صحية جيدة علما بأن الرعاية الصحية امتدت للريف الفلسطيني. كان ممنا أن نعتمد على أنفسنا في بناء جهاز خدماتنا. التعليم على سبيل المثال أصبح مستقلا أو يشارف على ذلك خصوصا في منطقة القدس. لدينا ١٤ مدرسة ثانوية، اثنتان منهم فقط حكوميتان، والباقي اما تابع للإتحاد أو لوكالة الغوث أو مدارس أهلية خاصة. أعمالنا ننفذها بصمت وبدون ضجة لضمان سيرها على الوجه الأكمل ومحاولة للقفز عن كل العراقيل التي ستواجهنا إذا رفعنا أصواتنا مهللين لما نقوم به.

وفيما يتعلق بالجمعيات الخيرية الأجنبية يقول:

الجمعيات الخيرية الأجنبية في بلادنا قديمة. تحصل على ترخيص عملها من السلطة الموجودة. قمنا بتعريب بعضها كجمعية شيشاير في بيت لحم وبيت جالا التي صارت تدعى المدرسة العربية. جمعية التأهيل العربية أيضا كانت مؤسسة أجنبية قمنا بتعريبها. يوجد طبعا مؤسسات أجنبية تعمل حتى الآن بصيغتها التأسيسية مثل جمعية الأراضي المقدسة في بيت لحم. ولكن مثل هذه الجمعية التي لها رصيد حساب بنكي في البنك العربي في عمان تحتاج الى تفويض موقع مني بصفتي رئيس الإتحاد العام للجمعيات الخيرية حتى يتمكنوا من سحب أموال من رصيدهم. وهناك جمعيات خيرية أجنبية تأسست خلال الإحتلال الإسرائيلي وعددها ١٢ جمعية حصلت على تراخيص عملها من السلطة القائمة مثل " الإغاثة الكاثوليكية " و " أنيرا " و " سي دي أف ". وهؤلاء يتعاونون معنا ويستشيروننا على الدوام. من ناحية أخرى، تربطنا علاقات قوية مع مؤسسات عربية / أجنبية، نحضر مؤتمراتهم، ونتلقى منهم المساعدات مثل صندوق القدس وصندوق الأراضي المقدسة.

Digitized by Birzeit University Library

المؤتمر الإجتماعي الأول:

سنة ١٩٧٩ دعت اتحادات الجمعيات الخيرية الى عقد مؤتمر كبير في القدس. كان المؤتمر الإجتماعي الأول. وشعاره خارطة فلسطين يعلوها رأس امرأة قروية فلسطينية، ملون بألوان العلم العربي. وقد استقطب المؤتمر بالإضافة الى رجالات العمل الإجتماعي، عددا كبيرا من الشخصيات العاملة في مجالات أخرى، والشخصيات العاملة في محيطات المثقفين. في هذا المؤتمر برز دور الجمعيات الخيرية الريادي في مجال الخدمات الإجتماعية. تناول المؤتمر عدة مواضيع حيوية كالهجرة من الريف وتفشي الأمراض الإجتماعية في مجتمعنا. عقدنا هذا المؤتمر في القدس لأن القانون الإسرائيلي لا يمنع الإجتماعات الكبيرة داخل القاعات. وعلى الرغم من ذلك استدعيت من قبل السلطات وذلك للصدى السياسي الواسع الذي تركه المؤتمر.. المؤتمر دفعني للواجهة السياسية مرة أخرى بعد سنين طويلة.

في أواسط الثمانينات تركت مجلس نقابة الأطباء، ولجنته الفرعية في مدينة القدس. وأصبح برنامج عملي موزعا بين اتحاد الجمعيات الخيرية ونادي الخريجين وعيادتي الخاصة.

الإنتفاضة:

بعد اندلاع الإنتفاضة بشهر، سافرت الى مصر لحضور المؤتمر الطبي العربي . في احدى جلسات المؤتمر، وكانت برئاسة الدكتور فتحي عرفات رئيس الهلال الأحمر الفلسطيني حينها. طُلِبَ مني أن القي كلمة سياسية لمدة خمس دقائق. وكان الدكتور سمير كاتبة قد تحدث باسم الضفة الغربية ولكن كلمته تناولت الجوانب الطبية فقط القيت كلمتي وكانت عاطفية أكثر منها سياسية، تحدثت فيها عن «الحجر المقدس». تأثر الحضور بخطبتي القصيرة. عندما عدت الى البلاد توقعت أن تقوم السلطات باعتقالي. لكن شيئا من هذا لم

Digitized by Birzeit University Library

يحدث.

بعد بدء الإنتفاضة، طور اتحاد الجمعيات الخيرية نشاطاته بما يتلاءم مع الوضع الجديد. فقد كرس جهوده لمساعدة جرحى الإنتفاضة والمعتقلين. هذا الإتجاه أظهر نشاطي بوضوح، ومن الطبيعي أن تكون السلطات على علم بذلك، خصوصا بعد أن تم ضبط مجموعة أوراق بيد نائبة رئيس الإتحاد الين أعرج زوجة رئيس بلدية بيت جالا أثناء عبورها الجسر الى الأراضي المحتلة عام ١٩٨٨. وقد حضرت الى منزلي لتنبهني بأن مجموعة أسماء الجرحى الذين تلقوا مساعدات وقعت بأيدي السلطات. توقعت حضورهم لاعتقالي، لكنهم اكتفوا باستدعائي الى المسكوبية. وهناك أبلغوني بأنني معتقل إداريا لمدة ثلاثة أشهر وفق قرار صادر عن مكتب وزير الدفاع اسحق رابين. وسمحوا لي باستخدام التلفون لمرة واحدة. اتصلت بالبيت، لكني لم أجد أحدا. اتصلت بالإتحاد وطلبت منهم توكيل محامي. اتفقوا مع أحد المحامين، وبسبب سوء تفاهم تنازل عن القضية. وكلت بعده المحامي ابراهيم أبو عطا، التقينا عدة مرات في السجن للتنسيق. عقدت الجلسة الأولى من محاكمتي وكانت في الصيف، أدخلت الى قاعة المحاكمة مكبلا بالسلاسل بيدي وقدمي، اعترض القاضي وأمر بفكهم. حضر الجلسة الأولى مدير مكتب رابين وممثل المخابرات. في نفس الوقت كانت تجري محاكمة فيصل الحسيني ولكن تحت إشراف قاض آخر.

وُجّه الي عدة تهم سرية وغير سرية، إحداها كان إصدار بيان استنكار بسبب إغلاق جامعة بير زيت، معتبرين ذلك تدخلا في شؤون السلطات وتجاوزا لصلاحياتي كرئيس لأتحاد الجمعيات الخيرية. ولكني أنكرت عليهم ذلك لكون الجامعة مسجلة كجمعية خيرية في الإتحاد، وأن من واجبي الدفاع عنها، كما يدافع "الهستدروت" عن أعضائه العمال. وكذلك الأمر بالنسب لجمعية الدراسات العربية. ثم ووجهت بشكوى لقيامي بتأبين فهد القواسمي. عللت ذلك بأن فهد القواسمي صديقي قبل أن يشغل أي منصب. واعتبروا مساعدتي لأهالي

Digitized by Birzeit University Library

المعتقلين تشجيعا للشباب لمقاومة السلطة طالما هناك من يعتني بأسرهم. كان ردي أنني أقوم بهذا العمل منذ ما قبل عام ١٩٦٧، وأنني كمسؤول عن مكتب إجتماعي، تعتبر رعاية أسر المعتقلين من صلاحياتي، وإذا اعتقل رب عائلة لسبب أو آخر فما ذنب عائلته؟ وذكرتهم بقرار صادر عن مكتب الشؤون الإجتماعية الإسرائيلي مفاده أن يقوم "التأمين الوطني" بصرف مخصصات شهرية لعائلات المعتقلين حتى العرب. وقلت لهم بأنني إذا قمت بمساعدة مثل هذه العائلات فانني أخفف عنكم.

بعد كل هذا الحوار وصل القاضي بيت القصيد حين قال: أنت متهم بتمويل الإنتفاضة. لقد أحضرت مليوني دولار من أجل الإنتفاضة. قلت له: لا، بل أحضرت ٤،٥ مليون دولار، وبطرق رسمية مئة بالمئة. فكل المبالغ المخصصة لكل الجمعيات الخيرية في الشمال والجنوب يجب أن اوقع أوراقا خاصة بها قبل أن تصرف. ويوجد مثل هذه التواقيع في "بيت إيل"، لأن مخصصات بعض الجمعيات فاقت الرقم المسموح به، مما اضطرنا للحصول على إذن بادخالها من "بيت إيل". هذا بالإضافة الى أنني استطيع أن أدخل المبلغ خلال ستة أشهر، وذلك باختيار مجموعة أشخاص من مدن مختلفة، يدخل كل واحد منهم ٥٠٠٠ دولار وهو المبلغ المسموح. ولكني لجأت الى الطرق الرسمية وضمن ما يسمح به القانون.

تمت المحاكمة في ثلاث جلسات. استغرقت الأولى سبع ساعات والثانية ست ساعات، والثالثة خمس ساعات. الإستجواب المباشر من قبل القاضي والمدعي العام والمحامي كان محور الجلسات. صدر حكم المحكمة بعد شهر من يوم اعتقالي، وتم بموجبه تخفيض مدة اعتقالي من ثلاثة أشهر الى شهرين.

عام ١٩٩١ أصبحت طبيبا متقاعدا في نقابة الأطباء، لأنني جاوزت الخامسة والستين. لكنني ما زلت أمارس مهنتي كطبيب متقاعد في عيادتي الخاصة في البلدة القديمة. وأشرف طبيا على مدرسة دار الطفل العربي خصوصا

Digitized by Birzeit University Library

القسم الداخلي منها.

أما بالنسبة لنشاطي الإجتماعي، فما زلت رئيسا لإتحاد الجمعيات الخيرية للسنة الثامنة والعشرين. وقد تجددت رئاستي له مؤخرا في جولة الإنتخابات الأخيرة. هذا بالإضافة الى أنني عضو في الهيئات العامة للعديد من الجمعيات الخيرية القائمة. وما زلت أيضا رئيسا لنادي الخريجين العرب.

وأنا حاليا عضو في مجالس أمناء جامعة القدس، والكلية العربية للمهن الطبية، وكلية العلوم والتكنولوجيا في أبو ديس. كذلك أنا نائب رئيس مجلس الإدارة في كل من جمعية الهلال الأحمر في القدس، وجمعية بيت الرحمة الإسلامي للمسنين.

وعن عائلته يختتم قائلا:

لقد تحمّلت زوجتي ورفيقة دربي أم سمير الكثير، وشاركتني مشاق الحياة. والحقيقة لو لاها لما استطعت أن أقوم بما قمت به على المستويين الإجتماعي والسياسي. يكفي أنها لم تتذمر يوما من ضيوفي واجتماعاتي التي كادت أن تكون يومية في البيت. خصوصا خلال الإقامة الجبرية التي فرضتها علي السلطات الإسرائيلية إثر دعوتي العلنية لمساعدة سكان الجولان الذين قاوموا قرار ضم الهضبة، ورفضوا الهوية الإسرائيلية عام ١٩٨٠.

وأحمد الله تعالى لأنه أعانني على تأمين الظروف الملائمة لتعليم أولادي في أحسن الجامعات العربية والأوروبية.

حصلت "مها" على شهادة التوجيهي من مدرسة دار الطفل، ثم غادرت الى الشام لدراسة مادة الأدب الإنجليزي. تزوجت من السيد مازن أبو السعود، وهو قريب لوالدتها.

Digitized by Birzeit University Library

أكمل "سمير" تعليمه الثانوي في مدرسة المطران وحصل على شهادة المترك لندن بتفوق. ثم انتقل الى جامعة ليفربول في بريطانيا حيث حصل على شهادة البكالوريوس في الكيمياء الحيوية. عاد الى البلاد وعمل لمدة سنة في الكلية العربية للمهن الطبية في البيرة. ثم سافر الى أميركا في بعثة دراسية، حيث حصل على شهادة الدكتوراة في الكيمياء الحيوية وعلم المختبرات الطبية. عاد الى الكلية وهو الآن مسؤول إداري في دائرة المختبرات.

أكمل "خالد" تعليمه الجامعي في انجلترا، وحصل على البكالوريوس في الهندسة. عاد الى القدس وعمل بقسم الآثار الإسلامية في دائرة الأوقاف الإسلامية لمدة ثلاث سنوات. ثم التحق بجمعية الهلال الأحمر في القدس، ليشرف على بناء مستشفاها الجديد في منطقة "الصوانة" بالقدس.

أنهت "رنا" دراستها الثانوية في دار الطفل بمعدل عال. تابعت تعليمها الجامعي في الجامعة الأردنية حيث درست الصيدلة. وعملت بعد تخرجها في شركة فلسطين للأدوية في رام الله. ثم حصلت على وظيفة في كلية مجتمع الطيرة. مدرسة في قسم مساعدو الصيادلة.

انهت جمانة تعليمها الثانوي في كلية دميانة القبطية في القدس. التحقت بجمعية الشابات المسيحية في دورتين للطباعة والكمبيوتر.

Digitized by Birzeit University Library

الوثائق

Digitized by Birzeit University Library

اذنامه

المهر المؤجل
١٠٠٠
فقط وقدره الف قرشا صاغ

المهر المعجل
٥٠٠٠
فقط وقدره [illegible] قرشا صاغ

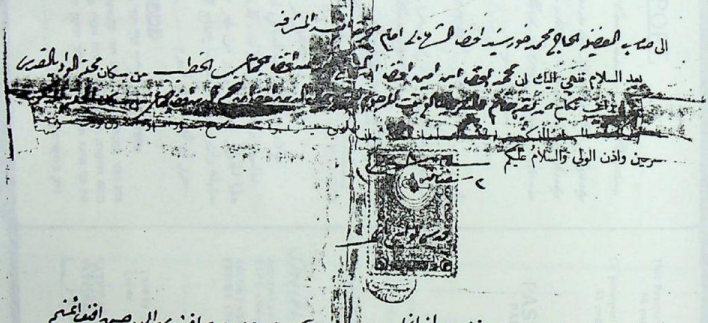

وكيل الزوج [illegible] افندي عبد الحميد افندي مصطفى الحاج

شاهد وكالة [illegible] افندي السيد داود افندي النمري

والد [illegible] افندي السيد [illegible] افندي النشاشيبي

وكيل الزوجة السيد عباس افندي عبد السيد صبحه افندي الغشيم

شاهد وكالة [illegible] السيد عبد الرحمن افندي عبد الغني ولي الدين افندي الحاج

والد [illegible] عبد الله بن الحاج عبد القادر الغشيم

صادق عقد النكاح بين المذكورين بحضور شهود ذيله وذلك غيابيا [illegible] القادر من الحاكم الشرعي في سنة ١٣٢٨

صاحب الفضيلة الشيخ محمد ظاهر افندي	صاحب الفضيلة الشيخ علي افندي	صاحب الفضيلة الشيخ محمد ظاهر افندي			
افندي مفتي السادة الحنفية الاولى	به الشيخ عبد الرحيم افندي الحاج	افندي مفتي السادة الحنفية الاولى			
به الشيخ عبد القادر افندي السعود		به الشيخ عبد القادر افندي السعود			
عبد القادر احمد	عبد الله احمد	الحاج ابراهيم	مصطفى احمد الخطيب	الحاج علي احمد	الحاج علي احمد
المرعي	الرهاوي				

وثيقة زواج الشيخ محمد أمين الخطيب وصديقة ولي الدين، والدا الدكتور أمين الخطيب. وهي تعود لعام ١٣٢٨ هـ.

Digitized by Birzeit University Library

PASSPORT.

By His Majesty's High Commissioner for Palestine

These are to request and require in the Name of His Majesty all those whom it may concern to allow the bearer to pass freely without let or hindrance and to afford him every assistance and protection of which he may stand in need

Given at Jerusalem
the 10 day of September 19 40

High Commissioner.

المندوب السامي
הנציב העליון

جواز السفر

صادر من المندوب السامي لصاحب الجلالة في فلسطين
نطلب ونرجو، باسم جلالته، كل من له اختصاص ان يسمح لحامل هذا الجواز بحرية المرور من غير توان ومع تذليل كل صعوبة في سبيله وان يبذل له كل ما يحتاج اليه من مساعدة ورعاية

حرر في القدس في اليوم ..... من ..... سنة ١٩

פספורט

מאת הנציב העליון של הוד מלכותו למלשתינה (א"י).

בזה הנני לבקש ולדרוש בשם הוד מלכותו מאת כל הסמונינים ברבר לדרשות את נושא התעודה הזאת לעבור בחרות וסכלי מעצור או עכוב וליתן לו את כל אותה העזרה והשגחה אשר יזרקק לה.

ניתן בירושלים היום ..... לחרש ..... שנת 19

This Passport contains 32 pages

يحتوي هذا الجواز على ٣٢ صفحة

Ce passeport contient 32 pages

הפספורט הזה מכיל 32 עמודים

PASSPORT. PALESTINE

جواز السفر فلسطين

פספורט פלשתינה (א"י)

PASSEPORT.

No. OF PASSPORT / No. DU PASSEPORT: 132861

رقم الجواز / מספר הפספורט

NAME OF BEARER / NOM DU TITULAIRE

اسم حامل الجواز / שם נושא הפספורט

Sheikh Muhammad Eff Amin el

ACCOMPANIED BY HIS WIFE (Maiden name) / ACCOMPAGNÉ DE SA FEMME (Née)

مصحوب زوجته (اسم الزوجة قبل زواجها) / נלוית אלי אשתי (שמה לפני נישואיה)

KHATIB

and by ..... children / et de ..... enfants

و / ו — اولاد / בנים

NATIONALITY. Palestinian under Article one of the Palestinian Citizenship Order, 1925

الجنسية / הנתינות

جواز سفر الشيخ محمد امين الخطيب الخ الخ. امين عام عام ١٩٤٠.
Digitized by Birzeit University Library

DESCRIPTION
SIGNALEMENT

اوصاف حامل الجواز

תאור נושא הפספורט

WIFE
FEMME
الزوجة
האשה

Profession / Profession	Merchant	المهنة / משלח יד
Place and date of birth / Lieu et date de naissance	Jerusalem 1875	مكان وتاريخ الولادة / מקום הולדתו ותאריך הולדתו
Place of Residence / Domicile	Jerusalem	مكان الاقامة / מקום מגוריו
Height / Taille	174 cms	القامة / קומתו
Colour of eyes / Couleur des yeux	Brown	لون العيون / צבע עיניו
Colour of hair / Couleur des cheveux	Grey	لون الشعر / צבע שערותיו
Special peculiarities / Signes particuliers		المميزات الخاصة / סימנים מיוחדות

CHILDREN
ENFANTS

Name / Nom	Age / Age	Sex / Sexe
الاسم / השם	السن / גיל	ذكر ام انثى / זכר או נקבה

PHOTOGRAPH OF BEARER
صورة حامل الجواز الشمسية
תמונת נושא הפספורט

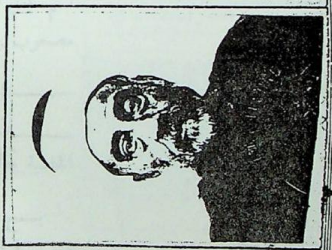

WIFE
FEMME
الزوجة
האשה

(PHOTO)
محل لصق الصورة الشمسية
מקום התמונה

SIGNATURE OF WIFE
SIGNATURE DE SA FEMME
توقيع الزوجة
חתימה האשה

Digitized by Birzeit University Library

اسم حامل / حاملة التذكرة: السيد أمين محمد الخطيب

مصحوب بزوجته (اسم الزوجة قبل الزواج)

للبلاد

الجنسية: فلسطيني

يسمح لحامل / لحاملة هذه التذكرة بالسفر ما بين القدس والمملكة الأردنية الهاشمية وبالعودة منها.

ويرجى من جميع من يهمهم الأمر مساعدته في ذلك.

يعمل بهذه التذكرة لغاية ٣١ كانون الأول ١٩٤٩

القدس في ٢٤ آذار ١٩٤٩

رئيس قلم

الحاكم العسكري

وثيقة سفر فلسطينية لأمين الخطيب صادرة عام ١٩٤٩.

Digitized by Birzeit University Library

صورة حامل/حاملة البطاقة

التوقيع
او البصمة

أوصاف حامل / حاملة البطاقة

الصنعة طالب جامعة الخليل

مكان الولادة القدس

تاريخ الولادة ١٩٦٦

مكان الاقامة القدس

القامة ١٦٤

لون العينين بني

لون الشعر أسود

العلامات الخاصة لا يوجد

الزوجة

الاسم

مكان الولادة

تاريخ الولادة

الأولاد

ذكر | انثى

Digitized by Birzeit University Library

الجمهورية العربية السورية

الجامعة السورية

دكتور في الطب

شهادة الطب التي حصل عليها الدكتور أمين من الجامعة السورية عام ١٩٥٤.

Digitized by Birzeit University Library

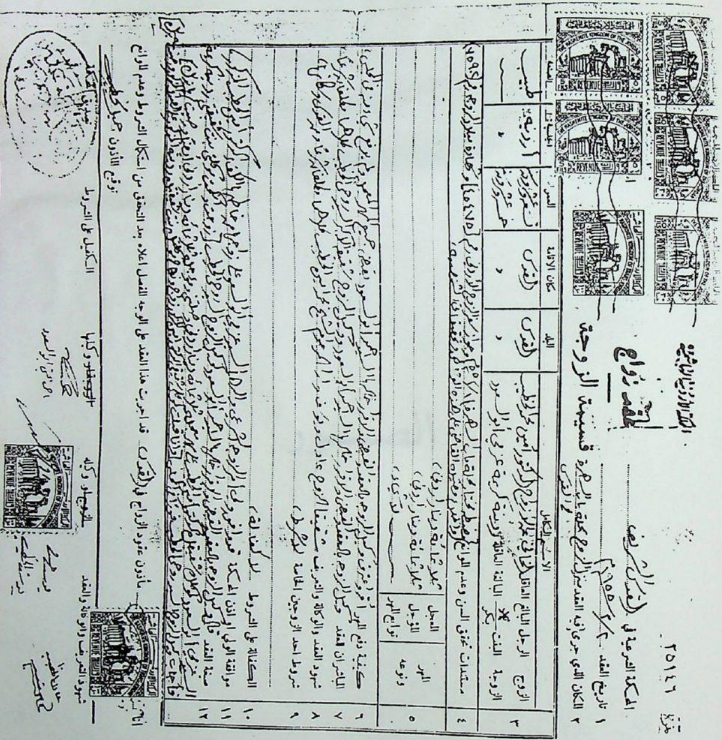
المملكة الأردنية الهاشمية
عقد زواج
قسيمة الزوجة
المحكمة الشرعية في القدس الشريف

عقد زواج الدكتور أمين الخطيب ورديئة أبو السعود عام ١٩٥٥.

Digitized by Birzeit University Library

الصـــور

Digitized by Birzeit University Library

١) صورة تذكارية التقطت في ساحة المدرسة الرشيدية عام ١٩٤٤، تضم خريجي مترك فلسطين بقسميه الأدبي والعلمي وبعض المدرسين. ويبدو أمين الخطيب الأول الى يسار الجالسين على الأرض.

٢) مسيرة احتجاجية أمام للجامعة الأميركية في بيروت ضد الهجرات اليهودية الى فلسطين. الصورة التقطت عام ١٩٤٦.

Digitized by Birzeit University Library

٣) مسيرة الخطيب عام ١٩٤٧ تجمع طلاب قسم الكيمياء في الجامعة الأميركية ببيروت. ويبدو في أول الصف الخلفي من اليمين، أحمد الخطيب (عضو البرلمان الكويتي)، موسى مارتو وأمين الخطيب. وفي الصف الأول وقوفا من اليمين يظهر شاب من عائلة كرمان، يليه وديع حداد.

٤) بعض خريجي الجامعة الأميركية لعام ١٩٤٨. يظهر أمين الخطيب الى أقصى اليمين.

Digitized by Birzeit University Library

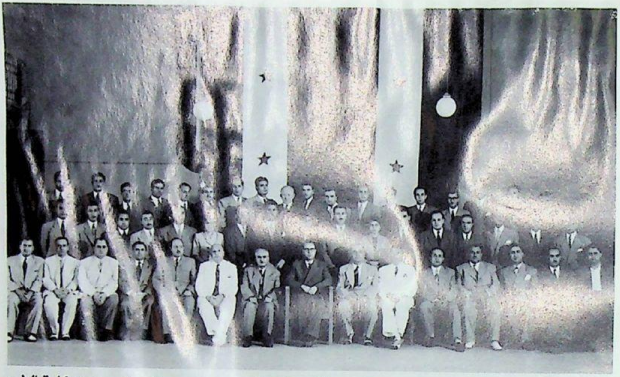

٥) طلبة كلية الطب في الجامعة السورية لعام ١٩٥٤ مع مدرسيهم. يتوسطهم عميد كلية الطب الدكتور [illegible]. الدكتور أمين الرابع من يمين الصف الخلفي.

٦) صورة من داخل مبنى مستشفى المقاصد قبل اكتماله. ويبدو وزير الصحة الأردني حينها الدكتور أمين مجج في المقدمة. وخلفه الى اليمين يظهر إبراهيم الدجاني أمين سر الجمعية، الدكتور أمين الخطيب نائب رئيس الجمعية، والدكتور أحمد أبو قورة رئيس جمعية الهلال الأحمر الأردني آنذاك.

Digitized by Birzeit University Library

٧) حريق الأقصى عام ١٩٦٩.

٨) والدة الدكتور أمين أم روحي تتوسط عائلته.

Digitized by Birzeit University Library

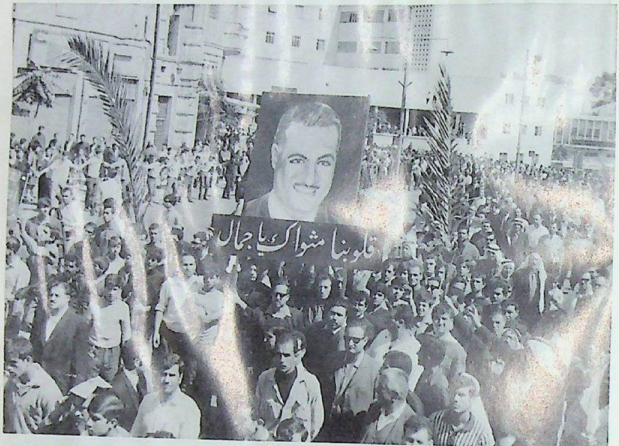

٩) مسيرة حزن بمناسبة وفاة جمال عبد الناصر عام ١٩٧٠.

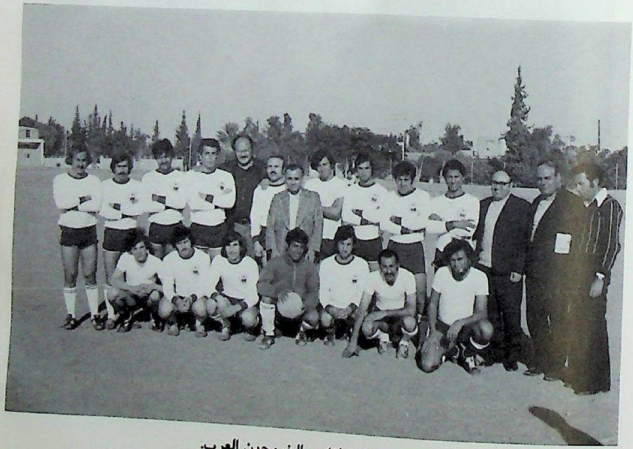

١٠) الدكتور أمين يتوسط أول فريق رياضي لنادي الخريجين العرب.

Digitized by Birzeit University Library

١١٠) صورة تجمع بعض المشاركين في المؤتمر الإجتماعي الأول الذي عقد في القدس عام ١٩٧٩،
يتوسطهم الدكتور أمين الخطيب.

Digitized by Birzeit University Library

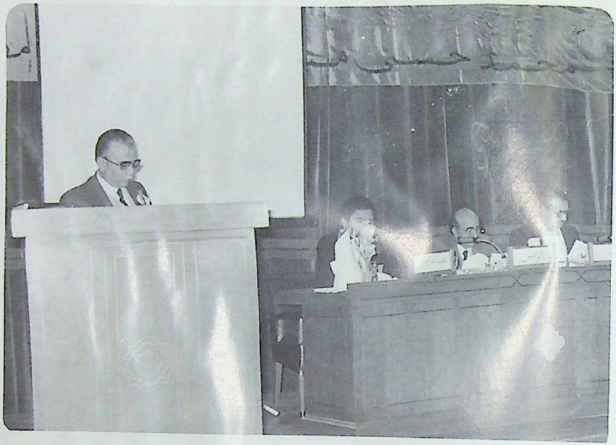

١٢) الدكتور أمين الخطيب يلقي كلمته في مؤتمر الأطباء العرب الذي عقد في القاهرة عام ١٩٨٨.
ويبدو في الصورة الدكتور فتحي عرفات رئيس الهلال الأحمر الفلسطيني مترئسا الجلسة.

١٣) أعضاء وموظفو اتحاد الجمعيات الخيرية.

Digitized by Birzeit University Library

للاتصال: مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني
جامعة بيرزيت
ص. ب ١٤
بيرزيت

مكتب إرتباط جامعة بيرزيت
ص. ب ٩٥٠٦٦٦
عمان ـ الأردن
فاكس: ٨٢٧٢٠٢ عمان

Digitized by Birzeit University Library